المملكة العربية السعودية
جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية
كلية الدعوة والاعلام

أبو بكر الصديق

ودوره في الدعوة الاسلامية

بحث مكمل لنيل درجة الماجستير في الدعوة الاسلامية

أعده الطالب
جبرين بن ابراهيم بن عبد الله الجبرين

باشراف الدكتور : عبد الخالق ابراهيم اسماعيل
الأستاذ المشارك بكلية الدعوة والاعلام

سنة ١٤٠٦ هـ

((بسم الله الرحمن الرحيم))

المقدمة

الحمد لله القائل : ((ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين)) أحمده سبحانه واشكره واشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله الداعية الأول صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين تفانوا في الدعوة الى الله فنالوا السعادة والرضوان في بحبوحة الجنان .

أما بعد :-

فلقد شاء الرحمن أن ادرس في كلية الدعوة والاعلام بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية الدراسات العليا قسم " الدعوة والاحتساب " وبعد انتهائي من الدراسة طالبتي الكلية ببحث مكمل لنيل درجة الماجستير فوقع الاختيار على موضوع مهم وجدير بالبحث والعناية الا وهو موضوع " أبو بكر الصديق ودوره في الدعوة " .

وما من شك ان سيرة أبا بكر الصديق مبسوطة في كتب السير والتراجم الا أنني أردت في هذا البحث أن أركز على دوره في الدعوة الى الله زمن حياة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وبعد وفاته ، لكي نعرف نحن معشر الدعاة كيف كان منهج سلفنا الصالح في الدعوة لعلنا نقتدى بهم ونحذو حذوهم وما ذلك على الله بعزيز .

وأسباب أختياري لموضوع "أبو بكر الصديق ودوره في الدعـــوه" دون غيره لعلمي ان دراسة سيرته ومنهجه في الدعوة جدير بالبحـــث والعناية كيف لا !! وهو الداعية الثاني بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم أنّه درس في مدرسة الرسول الأعظم فتعلّم على يديه وكـــان مطبقا لاقواله وافعاله فأنعكس ذلك على شخصيته فصار في تاريخ الاسلام من أعظم الدعاة الى الله الذين هدى الله بهم الناس بعد الضلال وجمـــع الله بهم الشمل بعد الفرقة .

ثم أنني أردت أن استفيد ويستفيد غيري من الدعاة بعض الدروس من سيرته ودعوته فعقدت العزم على البحث في ذلك مستعينا بالله سبحانه .

ولقد اعتمدت بعد الله سبحانه وتعالى - على البحث في المصـــادر القديمة لعلمي أنّ ذلك أجدى وأولى ، وفي بعض المواضع القليلة رجعت الى بعض المراجع الحديثة ، وطريقة بحثي لهذا الموضوع كما يلي .

قسمت البحث الى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة .

أما المقدمة فبينت فيها موضوع البحث وأسباب اختياره ، والمنهج الذي سرت عليه في البحث .

وأما الفصل الأول فقد جعلته في أحوال عصره لضرورة ذلك لأنـــه لا من شك أن معرفة أحوال عصره وكيف كان موقفه منها ضروري لابراز شخصيته .

والفصل الثاني تكلمت عن حياته وشخصيتـــه .

وما من شك أن شخصية الصديق كانت دعوة في حد ذاتها وذلـك

لما يتحلى به من اخلاق وصفات لابد ان تؤخذ منها القدوة الحسنة سواء قبل الاسلام أو بعده .

والفصل الثالث بينت فيه دوره العطي في الدعوة وافردت في هذا الفصل المواضع التي تتعلق بدعوته .

وأما الخاتمة فتشتمل على أهم النتائج التي توصلت اليها في هذا البحث المتواضع .

وكان منهجي في تقسيم البحث كما يلي :-

* المقدمة وتشمل أسباب اختيارى الموضوع وطريقتي في البحث .
* الفصل الأول :- ((أحوال عصره)) .
  * الحالة السياسية .
  * الحالة الاقتصادية .
  * الحالة الاجتماعية .

٣ - الفصل الثاني :- ((حياته وشخصيته)) .

* نسبه ونشأته .
* صفاته الخلقيه والخلقية .
* صداقته للرسول صلى الله عليه وسلم قبل المبعث .
* إسلامه .
* اضطهاد المشركين له حينما اسلم وعزمه على الهجرة الى الحبشة .
* صحبته للرسول - صلى الله عليه وسلم - بعد المبعث .
* علمه وفهمه .
* حلمه وعفوه .
* شجاعته .
* مرافقته للرسول صلى الله عليه وسلم - في هجرته .

* الآيات والأحاديث التي وردت في فضله .
* اختصاصاته .
* وفاته .

٤ - الفصل الثالث : ((دوره في الدعوة))

* من اسلم على يديه .
* تفانيه في الدعوه .
* عتقه للارقاء المسلمين .
* ورعه وتقواه .
* زهده وتواضعه .
* جهاده في سبيل الله .
* مواقفه في الحق .
* خلافته .
* اعماله وفتوحاته .
* خطبه ومواعظه .

٥ - الخاتمة :

ولا يفوتني في نهاية تلك المقدمة ان اقدّم جزيل الشكر والعرفان لكلية الدعوة والاعلام بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ممثلة في عميدها ووكيلها وأعضاء هيئة التدريس المحترمين .

كما لا يفوتني أيضا أن أتقدم بجزيل الشكر لصاحب الفضيلة الدكتور عبد الخالق ابراهيم اسماعيل المشرف على هذا البحث والذى لم يألوا جهدا في اسداء النصح والتوجيه لي وابداء الملاحظات الهامة حتى ظهر

هذا البحث الى حيز الوجود ولن أنسى له فضله ، فلقد فتح لي صدره وبيته فجزاه عني خير الجزاء .

ولا يفوتني أيضا أن أشكر أعضاء لجنة المناقشة المحترمين على ابدائهم بعض الملاحظات التي سوف آخذها بعين الاعتبار في المستقبل ان شاء الله تعالى .

والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

بسم الله الرحمن الرحيم

" الفصـــل الأول "

أحـــوال عصـــره

* الحـــاله السياسيـــــة .
* الحـــاله الاقتصـــاديه .
* الحـــاله الاجتمـــاعيـه .

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الأول : أحوال عصره :

ان دراستي لأحوال عصر الصديق الغرض منها أن نعرف ذلك المجتمع الذى كان يعيش فيه ، وذلك العالم الذى كان يحيط به ، ونعرف موقفه رضى الله عنه من ذلك كله — واريد أن اتعرض فى هذا الفصل لأحوال العرب فى الجاهلية : أ — الحاله السياسية .

ب — الحالة الاقتصادية .

جـ — الحالة الاجتماعية .

أ — الحالة السياسية :

لم يكن للعرب نوع من الحكومات ولم يكن لهم قضاء يحتكمون اليه ، ولم يكن لهم جيشا يدرأ عنهم الأخطار الخارجية ، وكذلك لم يكلفوا دفع الضرائب لعدم وجود حكومة تقبض زمام السلطة التنفيذية ، وتضرب على أيدى المعتدى وتوقع عليه العقاب المتناسب مع جرمه ، وانما كان الشخص المعتدى عليه يثأر لنفسه بنفسه ، وعلى قبيلته أن تشد أزره . فكانت القبائل منفصلة ، فكل قبيلة مستقلة تمام الاستقلال عن الأخرى .

كانت هذه حالهم لا يربطهم رابط ولا يجمعهم حكم فكان القوى يأكل الضعيف ويغير عليه وينهب أمواله وما يمتلك ، فهم يعيشون فى قلق وخوف مستمرين لا يأمنون على أنفسهم ولا على أموالهم .

وكان النزاع بينهم فى الجاهلية بسبب الاختلاف على السيادة أو التسابق على موارد الماء ، ومنابت الكلأ فوقعت بينهم حروب كثيرة اريقت فيها الدماء ومن

هذه الوقائع حرب البسوس الضارية التى وقعت بين قبيلتى بكر وتغلب أبناء وائل ، ولقد دامت أربعين سنة ، وسببها ناقة كانت تملكها امرأة عجوز من بكر تدعى البسوس .[1]

وكذلك من الحروب التى دارت بينهم حرب داحس والغبراء وهى حروب قيس ، وهى بين عبس وذبيان ، وكان السبب الذى هاجها أن قيس بن زهير ، وحمل بن بدر تراهنا على داحس والغبراء ، وكان داحس فحلا لقيس بن زهير ، والغبراء فرس لحمل بن بدر وتواضعا الرهان على مائة بعير ، واضمروها اربعين ليلة ثم قادوهما الى رأس الميدان بعد أن اضمروهما أربعين ليلة وفى طرف الغابة شعاب كثيرة ، فأكمن حمل بن بدر فى تلك الشعاب فتيانا على طريق الفرسين ، وأمرهم ان جاء داحس سابقا أن يردوا وجهه عن الغابة ، فأرسلوهما فأحضرا[2] فلما أحضرا خرجت الانثى من الفحل فقال حمل بن بدر سبقتك ياقيس ، فقال قيس رويدا فلما خرجا الى الوعث برز داحس عن الغبراء ، فلما شارف داحس الغاية ودنا من الغتية وثبوا فى وجه داحس وردوه عن الغاية .

وثارت الحرب بين عبس وذبيان ابنى بغيض فبقيت قرابة أربعين سنة .[3]

قلت : وهذه الحروب الطاحنة التى كانت تقوم لأتفه الأسباب سببها الجهل ، وعدم الاحتكام الى نظام معين ، فلما أرسل الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم ودعاهم الى عبادة الله وترك الجاهلية وعصبيتها تلاشت

---

(١) ابن الاثير ١ / ٣١٣ بتصرف .
(٢) احضرا :ـ الاحضار الجرى السريع .
(٣) تاريخ الاسلام ت / ٥٦ .

هذه الأشياء كلها ، وأصبحت القضايا والخلافات ترد الى حكم الله وحكم رسوله وهذا من لطف الله بعباده واكرامه لهم .

ومما دار بينهم ايضا : أيام الفجار : — وهى حروب وقعت فى الأشهر الحرام بين قبائل من عرب الحجاز .

ومن أشهر هذه الايام ،الفجار الرابع كان بين قريش وكنانه من ناحية وهوازن من ناحية أخرى ، هاجها رجل اسمه البراد الكنانى بقتلة عروة الرحال الكلابى من هوازن ، فأبت هوازن أن تقتل بعروة البراد لأن عروة سيد هوازن ، والبراد خليع من بنى كنانة ، وأرادوا ان يقتلوا به سيدا من قريش .

وهذه الحرب كانت قبل مبعث النبى / صلى الله عليه وسلم ، بست وعشرين سنة ، وقد شهدها النبى وهو ابن عشرة سنة مع أعمامه .(١)

ثم أنه كان يلى أمر مكة ولاة من جرهم قحطان وهم جرهم الثانية ولما جاء اسماعيل الى مكة مع أبيه صاهرهم ، وكان لاولاد اسماعيل بعد أبيهم مركز محترم لما لأبيهم من بناء البيت وان لم يكن لهم من الحكم شىء ولما ارتحل الأزد من مأرب بعد السد كان منهم من عرج على المدينة وهو حارثة بن عمرو الملقب بخزاعه وحارب جدهم فانتصر عليهم وأجلاهم من مكة حتى قال قائلهم :—

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا
أنيس ولم يسمر بمكة سامر

بلى نحن كنا أهلها فأبادنا
صروف الليالى والجدود العواثر

---

(١) التاريخ الاسلامى : حسن ابراهيم حسن .

ووليت خزاعة أمر مكة حينا من الزمن وفى وقت حكمهم تناسل العدنانيون وكثروا وانتشروا فى نجد وبقى بمكة أولاد فهد بن مالك وهو قرشى وليس لهم من أمر مكة ولا البيت الحرام شىء حتى جاء قصى بن كلاب وهو الأب الخامس لمحمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم . فجمع شتاتهم ووحد كلمتهم فكانت لهم بذلك قوة أمكنهم ان يزاحموا بها خزاعة ويتغلبوا على أمر مكة ، ولما لم يبق الا أمر ولاية البيت أخذه قصى من سادنه المكى [(١)] ، وصار الرئيس الدينى لذلك البيت الذى نفد اليه العرب من جميع أنحاء الجزيرة ، ومن مآثر قصى تأسيس دار الندوة بمكة وكانت مجمع قريش وفيها تفصل مهام أمورها ولهذه الدار فضل على قريش لأنها ضمنت لهم اجتماع الكلمة وقض المشاكل بالحسنى وكان لقصى من مظاهر الرئاسة والتشريف أنه كان رئيس دار الندوة ففيها يتشاورون فى أى أمر نزل بهم ، فما تنكح امرأة ، ولا يتزوج رجل من قريش ولا يعقدون لواء لحرب قوم الا فى هذه الدار التى تولاها قصى لأنهم قد جعلوا اليه لشرفه أمر السقايه والحجابه والرفادة واللواء فحاز شرف مكة كله . [(٢)]

ومما يحمد لقريش ذلك الحلف الذى تعاهدوا عليه وذلك أنهم تداعت قبائلهم فاجتمعوا فى دار عبد الله بن جدعان ابن عمرو بن كعب بن سعد ابن تيم بن مرة بن كعب بن لؤى ، لشرفه وسنه فكان حلفهم عنده : بنوهاشم وبنو المطلب ، وأسد بن عبد العزى ، وزهرة بن كلاب ، وتيم بن مرة ، فتعاقدوا وتعاهدوا على ان لا يجدوا بمكة مظلوما من أهلها وغيرهم ممن دخلها من سائر الناس الا قاموا معه ، وكانوا على من ظلمه حتى تردّ عليه مظلمته فسمت قريش ذلك حلف الفضول . [(٣)]

---

(١) تاريخ الامم الاسلامية ١ / ٣٥ ، ٣٦ .
(٢) سيرة بن هشام ١ / ١٢٥ بتصرف .
(٣) المرجع السابق .

ب ـ الحالة الاقتصادية :

كان العرب فى الجاهلية أكثر اهتمامهم بالتجارة ، وكانوا يعيبون الحرف الأخرى كالصناعة ونحو ذلك ، ويرون ان الشرف كل الشرف فى التجارة وحدها .

" فجمع أهل سبأ ثروة كبيرة من احتكارهم التجارة ، وعلى الأخص فى العطور كالبخور الذى كان شائع الاستعمال فى المعابد بمصر والحبشة وغيرهما وكانت قوافل سبأ تحمل هذه الحاصلات وغيرها من حاصلات هذه البلاد الى الاصقاع الشمالية كما كانت لهم محطات تجارية تصل بلادهم بغيرها ، ولا شك أن اليمن بلغت درجة عظيمة من المدنية والحضارة انتقلت منها الى أرجاء جزيرة العرب ، وخاصة الجهات التى اتصلوا بأهلها عن طريق الاسفار المنظمة ".

ولما كانت أرض مكة صخرية لا ماء فيها ولا زرع امتاز أهلها على غيرهم من العرب بالنشاط التجارى وكان لهم فى نفوس العرب احترام لأنهم ولاة الكعبة والمحافظون على مجدها وساعدهم على ذلك مركز مكة الجغرافى لذا فان مكة منذ القرن السادس الميلادى مركزا للتجارة بين اليمن والشام والحبشة .(١)

وكانت قوافل قريش معروفة عند العرب لأنهم سكان مكة وحماة الكعبة التى يقدسها العرب ، فكانوا يسيرون آمنين مطمئنين وجابت قوافلهم هذه البلاد طولا وعرضا كما فعل أهل اليمن من قبل ، فوصلوا الى غزة وبيت المقدس ودمشق وعبروا البحر الأحمر الى الحبشة وكان ميناء جدة التى تبعد

(١) تاريخ الاسلام د . حسن ابراهيم حسن .

عن مكة بنحو أربعين ميلا واسطة التجارة التى بينها وبين الحبشة وكانت السلع تحمل من جده الى البحرين حيث تنقل فى القوارب مع اللؤلؤ الذى يستخرج من الخليج الفارسى الى مصب الفرات .

وتقع مكة نحو منتصف المسافة بين اليمن جنوبا والشام شمالا وكانت عير قريش تحمل من أسواق صنعاء ومن موانئ عمان واليمن الطيب والبخور ، وكذا المنسوجات الحريرية والجلود والأسلحة والمعادن النفيسة التى يرد كثير منها الى موانى بلاد اليمن من الهند والصين وغيرهما من بلاد الشرق وتحمل من أسواق بصر ودمشق القمح والمصنوعات وزيت الزيتون والحبوب ، ومن بلاد الحبشة التوابل ومن مصر المنسوجات المعروفة بالقباطى .(١)

ولقد أخبر الله عنهم فى محكم كتابه بأنهم أهل تجارة ورحلات فى الشتاء والصيف ، وذكرهم سبحانه بمنته عليهم جل وعلا وهم أنه آمن قوافلهم فلا يعتدى عليها واطعمهم ورزقهم وهم فى هذا المكان الذى ليس به زرع كل ذلك ببركة الله سبحانه ثم بركة البيت الحرام الذى هم ساكنون حوله ، ثم أخبرهم بأن الذى يستحق العبادة هو رب البيت وهو الله جل وعلا لأنه هو الذى خلقهم ورزقهم وآمنهم من الخوف . قال تعالى " بسم الله الرحمن الرحيم " ((لايلاف قريش ، ايلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف)) .

يقول الاستاذ سيد قطب رحمه فى تفسيره لهذه السورة :—

ومع ماكانت حالة الأمن فى شعاب الجزيرة من سوء ، وعلى ماكان شائعا

---

(١) التاريخ الاسلامى حسن ابراهيم حسن / ٦٢

من غارات السلب والنهب ، فان حرمة البيت فى أنحاء الجزيرة قد كفلت لجيرته الأمن والسلامة فى هذه التجارة المغريه وجعلت لقريش بصفة خاصة ميزة ظاهرة وفتحت أمامها أبواب الرزق الواسع المكفول فى أمان وسلام وطمأنينه والفت نفوسهم هاتين الرحلتين الأمنتين الرابحتين فصارتا لهم عادة والفا .(١)

فكانوا يرحلون رحلات متتابعة رحلتين فى العام رحلة الشتاء الى اليمن ، ورحلة الصيف الى الشام ،وكان بنو عبد مناف الأربعة يتوجهون الى البلاد المختلفة للتجارة ،فكان هاشم يتوجه الى الشام وعبد شمس الى الحبشة والمطلب الى اليمن ونوفل الى فارس ، وكان تجار قريش يختلفون الى هذه البلاد فى ذمة هؤلاء الأخوة الأربعة لا يتعرض لهم أحد بسوء .

وكانت بلاد العرب وعرة الا عليهم لعلمهم بالصحراء وسبلها ومواضع الخوف والأمن منها ، وقدرتهم على تحمل القيظ وعناء السير فلم يكن لأهل الشام والحبشة وغيرهما من سبيل للسير فى هذه الفيافى والقفاز الكثيرة الوعورة والأخطار ، فاحتكروا تجارة البلاد السعيدة اليمن والشام وغيرهما واختصوا بنقل سلعها وكان من أثر احتكارهم تلك التجارة وانتشارها فى مكة أن أثرى أهلها ثراء كبيرا ، ولم يكن حب أبناء الاشراف منهم والنبلاء وأهل الشرف فيهم للفروسية بأقل من حبهم للتجارة التى كانوا يمارسونها منذ صغرهم ، وقد أثرت قريش من التجارة ثراء عظيما ،وظهر فيها كثير من الأثرياء كأبى سفيان ، والوليد بن المغيرة ، وعبد الله بن جدعان الذى استطاع أن يسلح فى حرب الفجار مائة رجل بالسلاح الكامل ، وكان القرشيون

---

(١) ظلال القرآن سيد قطب ٦/

بمثابة الوسطاء بين اقليم البحر المتوسط فى الشمال ، حيث الشام وفلسطين وسواحل آسيا الصغرى ومصر الشمالية ، وبين ذلك الاقليم الموسمى الذى تكثر فيه الخيرات المعروفة من توابل وحاصلات أخرى هامه .(١)

ولقد استفاد العرب فوق تجارتهم المادية شيئا من مدينة الروم والفرس وأدبهم ، وهذا طبيعى فالرحلات الى الأمم المتمدنه تجعل دائما تحت أعين الراحلين مدينة جديدة يقتبسون منها على قدر استعدادهم وهذا نتيجة لتعاملهم فى البيع والشراء فهم لابد أن يعرفون ولو بعض لغتهم ، فكان أهل هذه الرحلات التجارية من قريش أعظم ثروة وعقلا من غيرهم وهم من سادات قومهم ، ومنهم من كان له يد فى ادارة شئون الأمة الاسلامية فيما بعد .(٢)

جـ — الحالة الاجتماعية :

أريد أن أوضح فى ذلك ماكان عليه العربى فى معاملة أهله ، وما كان يتحلى به المجتمع العربى من أخلاق ، وماذا كانوا يدينون به لكى نعرف حالة القوم من جميع جوانبها .

اما تعامل العربى مع أهله وخصوصا زوجته فكانت تقوم على التقدير والاحترام ويظلم العربى من أنه كان ينظر الى المرأة نظرة استخفاف أواهانه واذا تتبعنا أشعار القوم وهى ديوان أخبارهم نرى الأمر على العكس من ذلك فقد كان الرجل اذا اراد أن يتمدح بماله فى نظر العرب من مقام

---

(١) تاريخ الاسلام ٦٢/٦٣ .
(٢) فجر الاسلام — أحمد أمين /١٥ .

سامى من الكرم والشجاعة لم يكن يخاطب فى أكثر أوقاته الا المرأة التى أن رقى فى نظرها فقد رضى الناس كلهم عنه ، ويلاحظ ذلك واضحا جليا فى اشعار حاتم الطائى شيخ الكرام ، وعنتره العبسى شيخ الشجعان ثم أن الشعراء جميعهم اذا بدأ و قصائدهم التى يفخرون فيها بمحامل قومهم وعظيم مقاصدهم ، ولا يتعرضون لشىء من ذلك حتى يعطوا المرأة قسطها مما تحب ، ويرون أن شعرهم بدون ذلك يفقد الطلاوة المقبولة وتراهم حينما يخاطبونها وهى ربة بيت يلقبونها بخير الألقاب يقول أحدهم :

يا ربة البيت قومى غير صاغرة
ضمى اليك رحال البيت والقربا[1]

قلت : وهذا زهير بن سلمى لما أراد ان يستعطف الرسول صلى الله عليه وسلم — وكان قد أهدر دمه لأنه هجاه ، وأخبره أخوه بأن الرسول صلى الله عليه وسلم — قد أهدر دمه ، وأنه يريد قتله ، وأشار عليه بأن يأتى الى الرسول ويعتذر مما حصل منه ، وفعلا نزل على رغبة أخيه فقال قصيدة يمدح بها الرسول صلى الله عليه وسلم وكان أول بيت منها فى الغزل حيث يقول :

بانت سعاد فقلبى اليوم مقبول
متيم أثرها لم يفد مكبول

الى أن قال :

نبئت أن رسول الله أوعدنى
والعفو عند رسول الله مأمول

---

(١) تاريخ الامم الاسلامية . ص : ١٨ .

وبالجملة فان المتبع لأخبار العرب لايشم منها رائحة الصغار والاهانة للمـــرأة،، ويفخر بعضهم بنسبتهم الىّ امهاتهم ،كما يفخرون بنسبهم الى أبائهم وكانت المرأة فيهم اذا ارادت فرقت ، فان اتجهت عواطفها للسلام سعت اليـــه ، وان وجهتها ارادة الانتقام الى الشرر اشعلت النار بين الأحياء .

وكانوا يستشيرون المرأة فى كثير من الأمور ويأخذون برأيها ،وكـــان الرجل لايزوج بناته الا بعد استشارتهن والوقوف عند ارادتهن وهذا عنـــد غالبيتهم .(١)

قلت : وهذا قد لاينطبق عليهم جميعهم فلقد حدثنا القرآن الكريـــم بأن بعضهم يأدون البنات قال تعالى ((واذا الموءودة سئلت بأى ذنـــب قتلت))(٢) .

ويقول سبحانه وتعالى فى الآية الأخرى ((واذا بشر أحدهم بالانثـى ظل وجهه مسودا وهو كظيم ، يتوارى من القوم من سوء مابشر به ايمسكـــه على هون أم يدسه فى التراب الا ساء مايحكمون))(٣) .

وكان بعضهم يفعل ذلك خشية العار ، وبعضهم خشية المئونه حيـــث يخاطبهم القرآن فى أية أخرى ((ولا تقتلوا أولادكم من املاق نحن نرزقكـــم واياكم ان قتلهم كان خطئا كبيرا))(٤) .

ومن اللازم أيضا ونحن ندرس حالة العرب الاجتماعية فى الجاهليـــة أن

---

(١) تاريخ الامم الاسلامية / ١٨ .
(٢) سورة التكوير ، آية : ٨ .
(٣) سورة النحل ، آية : ٥٨ .
(٤) سورة الاسراء ، آية : ٣١

نعرف كيف كانت معاملة الرجل منهم لأخيه وابن عمه فنجد أنهم ينصرونهم أخطأوا أم أصابوا عدلوا أم ظلموا ، بمعنى ان الرجل كان يلحقه العار اذا قعد عن نصرة أخيه وابن عمه ، فكان لزاما أن يقوم بنصرته مخطئا كان أو مصيبا وكانوا يقولون " انصر أخاك ظالما أو مظلوما " (١) .

قلت : ولقد جاء الاسلام وغير هذه القاعدة الخاطئة التى كانوا يسيرون عليها فلقد أخبر الرسول بأن معنى نصر الظالم هو ردعه عن الظلم فان ذلك يعتبر نصر له ، فاذا لم يظلم أحدا ولم يعتدى على أحد سلم الناس من أذاه ، وصار سعيدا فى حياته وأما اذا ظلم أحدا فانه بلا شك سوف يروع ويؤخذ منه الثأر ، وكذلك ردع الظالم عن الظلم نصر له فى الآخرة حيث لا يظلم أحدا فيتعرض لسخط الجبار وعقابه . فما أسمى أخلاق الاسلام وما أعلاها !!

ثم أنهم يحصل بينهم بعض التنافس ، فاذا تشعبت البطون نافس بعضهم بعضا فى الشرف والثروة فتجد القبائل التى يجمعها أب واحد كل واحدة قد وقفت لأختها فى المرصاد ، تنتهز الفرصة للغض منها والاستيلاء على موارد رزقها وسبب ذلك يرجع الى أمرين :—

الأول :التنافس فى مادة الحياة بين بنى الأب الواحد ، فانا نعلم أن حياة العرب كانت على مراعيهم التى يسيمون (٢) فيها أنعامهم ، وعلى مناهلهم التى منها يشربون وهى محل نزاع دائم لأنه لم يوجد عند العرب حقوق ملكية محترمة فى الكلأ والماء ، وأكثر مايبتدى ذلك النزاع

---

(١) تاريخ الاسلام / ٦٥ .
(٢) يسيمون : يرعون .

بين رعاة الابل القائمين بشأنها فانهم قد يتنازعون فيمن يرد الماء أولا أو فى نفس المراعى فيتجاوزهم النزاع الى ساداتهم فلايجدون من الافتراق بدا فينزح أحد الأخوين عن دارة مرغما الى مكان آخر هو وأولاده ومن يلوذ به ، ولايكون ذلك الا بعد أن يشعر الراحل بقوة منازعه فينزح وفى النفس أثر من الغضب .

الثانى : تنازع الشرف والرياسة وأكثر مايكون ذلك اذا مات أكبر الأخوة ولـه ولد أهلا لأن يكون موضع أبيه فينازع أعمامه رئاسة العشيرة ، ولا يسلم أحد منهما للآخر فيورثهما ذلك تباغضا تزيده الايام شده فيحصل التنافر كما كان بين الأوس والخزرج فى المدينة ، وكما كان بين هاشم واموية بمكة وبين عبس وذبيان ، وبين بكر وتغلب من ربيعه ، وبين دارم ويربوع من تميم .(١)

قلت : ولقد كان من أخلاقهم الحسنة الشىء الكثير فلما جاء الاسلام أقرهم عليها ، وأمرهم بالابتعاد عن الرذائل كلها كشرب الخمر ، والزنا ، وأكبر من ذلك عبادة الاوثان .

أما أخلاقهم التى جاءت مواقفة له فأقرهم عليها ، ومن ذلك مثلا ، الكرم والمروءة ، واكرام الجار .

ومن الاخلاق التى كانت للعربى سرعة الانفعال والاقدام على المكارة تراه ساكنا مطمئنا فلا تحتاج فى تهييجه الا الى كلمة صغيرة أو فعلة حقيرة يتخيل معها أنه قد مس شرفه ، فنجده زأر كالاسد الذى اعتدى عليه

---

(١) تاريخ الامم الاسلامية / ٢٢ ، ٢٣ .

لا يتريث حتى يستطلع جلية الأمر ، بل يقدم ولا يفكر فى العواقب ، وهـــذا الخلق الاكثر ماتراه فى قبائل البادية الذين كانوا لا يخشون سجنا ولا أحكاما قاسية من جراء أفعالهم ، فمتى ماسمع بعض كلمات الاستنجاد المؤثرة مثل : يالفلان واذلاه ، وانصيراه ، ونحو ذلك . نهضوا بسرعة غير متسائلين عـــن الأسباب .(١)

قلت : ولما ان جاء الاسلام هذب هذا الخلق فهذا رسول اللـــه صلى الله عليه وسلم ،يخبر أن الشديد ليس بالصرعة وانما الشديد الـــذى يملك نفسه عند الغضب . فهو يخبر عليه افضل الصلاة والسلام ان الشـــدة والشجاعة لا تعتبر فيمن يصارع الرجال فيصرعهم ، وانما الشدة الحقيقة هـــى ان يملك الانسان نفسه وقت فوران دمه وغضبه ،ولقد أخبر الرسول صلـــى الله عليه وسلم ــ بأن الغضبان يشرع له ان يتعوذ من الشيطان ، وأن يجلس ان كان قائما .

ومن أخلاقهم التعصب المذموم !!

ومعناه ان ينصر ذا عشيرته على اية حال ويتعصب لذلك فلما جـــاء الاسلام ذمها وسماها القرآن " حمية الجاهلية " فنهاهم عنها وعن التفاخر بالاحساب والأنساب .

ومن أخلاقهم المتأصلة فيهم الكرم وقد استنفذوا فيه نصف اشعارهـــم بين ممتدح به ومثن على غيره كان الواحد منهم يأتيه الضيف فى شدة البرد والجوع وليس عنده من المال الا ناقته التى هى حياته وحياة ولده فتأخـــذه

---

(١) تاريخ الامم الاسلامية ص : ٣٩ : ٤٠ .

هزة الكرم فيقوم اليها ويذبحها لضيفه يخشون مذمات الحديث ويقول قائلهم

أعلـــم بأن الضيـــف يومـــــا

ســـوف يحمـــــد أو يلـوم

ومن أخلاقهم المحمودة التى كانوا يتمدحون بها ويعيبون من خالفها الوفاء بالعهد ، فقد كان العهد عندهم له مكانه عظيمة ،ويهبون عليهم فى سبيل الوفاء به قتل أولادهم ، وتخريب ديارهم .

قلت : وهذا الخلق المحمود قد اقرهم عليه الاسلام ، وأمرهـــم بالاستمرار عليه قال تعالى ((وأفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا)) .

ومن أخلاقهم لعب الميسر ، والاستقسام بالازلام . وكذلك كانـوا الا قليلا منهم يشربون الخمر ويفتخرون بذلك ويعدونها من باب النقاهه والترف

قلت : ولما جاء الاسلام حرم عليهم ذلك كله ونبههم القرآن الـى مضرة ذلك وأنه من عمل الشيطان قال تعالى ((انما الخمر والميســـروالانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه)) الآية .(١)

ولمزيد من معرفة أحوال هذا المجتمع لابد ان نعرف ديانتهم كـان بعض العرب يدينون بالدين الوثنى ، ويقال ان الذى نقل الوثنية الـى العرب هو عمرو بن يحى ، روى بن الكلبى ان عمرو بن لحى مرض مرضـا شديدا فقيل له :ان بالبلقاء من الشام حمه ؤاتيتها برأت ، فأتاها فاستحـم بها فبرأ ، ووجد أهلها يعبدون الأصنام فقال ماهذا ؟ فقالوا نستسقى بها المطر ونستنصر بها على العدو فسألهم ان يعطوه منها فنقلها فقدم بهـا

---

(١) سورة المائدة ، آية ٩٠

مكة ونصبها حول الكعبـــة .[1]

وقال المسعودى فى مروج الذهب : ان عمرو بن لحى هو الذى غير دين ابراهيم وبدله ، وبعث العرب على عبادة التماثيل ، وعم الناس ظلـــم عمرو بن لحى وفى ذلك يقول رجل من جرهم كان على دين الحنيفيه :

ياعمرو لا تظلم بمكـــــة انهـــا بلـــد حـــرام
سائل بعاد أين هـــم وكذاك تختـــرم الآنـــام

ولما أكثر عمرو بن لحى من نصب الأصنام حول الكعبة وغلب علـــى العرب عبادتها ، وانمحت الحنيفية منهم الا لمعا ، حتى قال بعضهم :

ياعمرو انك قـــد أحدثت ألهـــة
شـــتى بمكـــة حول البيت الصابـــا
وكان للبيـــت رب واحـــد أبـــدا
فقـــد جعلت له فى النـــاس أربابا
لتعرفـــن بأن الله فى مهـــــل
سيصطفى دونكـــم للبيت حجـــابا[2]

وكان لقريش أصنام فى جوف الكعبة وحولها ، وكان هبل أعظمها شأنـا وكان من العقيق الأحمر على صورة انسان مكسور اليد اليمنى ، فصنعت لـه قريش يدا ، وكان أول من نصبه حزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر ، فكـان يقال له هبل حزيمـــة .

ولم يكن هبل وحده معبود العرب فقد انتشرت الاصنام فى أنحـــاء

---

(١) كتاب الاصنام لابن الكلبى / ٨ .
(٢) مروج الذهب للمسعودى ص : ٣ / ٥٦ .

الجزيرة العربية ، فقد انتشرت الأصنام فى أنحاء الجزيرة العربية على شكل بيوت وأشجار وحجارة مصورة وغير مصورة ، حتى قيل أنه كان حول الكعبة ثلثمائة وستون صنما ، ويظهر أن السبب فى وجودها أن قريشا رأت أن تنتفع من قدوم القبائل العربية فى موسم الحج ، فوضعت أصنام القبائل الشهيرة حول الكعبة حتى اذا أتو مكة وزاروا الحرم وجدوا معبوداتهم فأولوها احترامهم وتقديسهم .

وكانت مناة أقدم هذه الاصنام ، وكان العرب يسمون أبناءهم عبد مناة وزيد مناة ، وكانت تعظمة الازد والأوس والخزرج ، حتى أمر الرسول على ابن ابى طالب بكسره عندما خرج لفتح مكة فى السنة الثامنة من الهجرة .

ومن هذه الاصنام ،اللات بالطائف ومعناها الاله ، وكانت صخرة مربعة أقيم عليها بناء ، وقامت على سدانتها ثقيف التى تشبهت بقريش سدنة الكعبة وبلغ من تعظيم العرب اللات أن كانوا يسمون أبناءهم زيداللات وتيماللات .

ومن هذه الأصنام العزى وهى أحدث من مناة واللات ، وكانت تمثل فى شجيرات فى وادى نخله وبلغ من تعظيم العرب وقريش اياها أن كانوا يسمون أبناءهم عبد العزى .(١)

وكانت قريش تطوف بالكعبة وتقول : واللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى فانهن الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى فنزل القرآن زاجرا لهم قال تعالى ((أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى الكم الذكر وله الانثى

---

(١) تاريخ الاسلام ص : ٦٩ ، ٧٠ .

تلك اذن قسمة ضيزى ان هى الا أسماء سميتموها أنتم وآبائكم ما أنـــزل الله بها من سلطان)) .[1]

ومع كثرة تعدد الأوثان والآلهة فى بلاد العرب فانه يوجد منهـــم الموحـد المقر بخالقه المصدق بالبعث والنشور ، موقنا بأن الله سبحانـــه يثيب المطيع ويعاقب العاصى .

وقد كان صنف منهم يعبدون الملائكة ويزعمون أنها بنات الله ، فكانوا يعبدونها لتشفع لهم عند الله .[2]

---

(١) سورة النجم ، آية : ١٩ — ٢٣ .
(٢) مروج الذهب للمسعودى ص : ٢/١٢٦ .

قلت : ولو أردنا ان نعرف ماهو موقف أبو بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ مما كان من أحوال عصره نجد شخصيته بارزه وواضحة فى كل الحالات فهو من أشراف قريش وقد أسندوا اليه مهمة الحماله .

ونجده ايضا من أثريائهم وذلك أنه كان صاحب تجارة وعنده رأس مال وهو مألوف ومحبوب عند القوم ونجده أيضا كان له ثقله فى ذلك المجتمع الجاهلى فكان يتسم برجاحة العقل والعلم والفهم ، وكان ـ رضى الله عنه ـ متحليا بالأخلاق السامية النبيله فلم يعبد الأصنام قط كما سأبينه فيما بعد ولم يشرب الخمر أيضا وانما كان كريما سخيا يعين على نوائب الحق وكان له مكانه مرموقه بين قومه .

بسم الله الرحمن الرحيم

" الفصـــل الثـــانى "

حيـــاته وشخصيته

* نسبه ونشـــأته .
* صفاته الخلقيه والخلقيه .
* صداقته للرسول قبل المبعث .
* اســـــلامه .
* اضطهاد المشركين له حينما أسلم وعزمه على الهجرة الى الحبشه .
* صحبته للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد المبعث .
* علمـــه وفهمـــه .
* حلمـــــــــه .
* شجـــــــاعته .
* مرافقته للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى هجرته .
* الآيات والأحاديث التى وردت فى فضله .
* اختصـــاصاته .
* وفـــــــاته .

ـ نسبه واسمه :-

هو عبد الله بن عثمان بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة ابن كعب بن لؤى (١) . وينسب الى تيم بن مره فيقال التيمي وهو في العدد الى مره مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذه موافقة اتفقت بينهما في النسب كما اتفقت في العمر على اصح الأقوال (٢) .

قال الامام السيوطي في كتابه تاريخ الخلفاء ، قال ابن كثير : " اتفقوا على أن اسمه عبدالله بن عثمان ، الا ما روي عن ابن سعد ، عن بن سيرين أن اسمه عتيق . والصحيح أنه لقبه . ثم اختلف في وقت تلقيبه به وفي سببه (٣) .

فقيل لعتاقة وجهه أى لجماله ـ قاله الليث بن سعد ، وأحمد بن حنبل وابن معين ، وغيرهم .

وقيل انه سمته به أمّه وكان لا يعيش لها ولد فعاش .

وقيل انه سماه به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : " من سره أن ينظر الى عتيق من النار فلينظر الى أبي بكر (٤) .

وللجمع بين هذه الأقوال نقول : انه عتيق في الجاهلية وعتيق في الاسلام .

---

(١) صفة الصفوة لابن الجوزى : ١/٢٣٥ .
(٢) الرياض النضرة ، مناقب العشرة للمحب الطبرى : ١/٧٣ .
(٣) تاريخ الخلفاء للسيوطي : ٢٩ .
(٤) قال السيوطي أخرجه أبو يعلى في مسنده وابن سعد والحاكم وصححه .

وأما الصديق كان يلقب به في الجاهلية لما عرف به من الصدق .

وقيل لمبادرته الى تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كان يخبر به .(١)

وأمه هي أم الخير سلمى بنت صخر التيمية بنت عم ابيه وقد اسلمت وأبوه أبو قحافة عثمان بن عامر .

قال صاحب الرياض المستطابه : ولم يتفق لأحد من الصحابه ما اتفق له من اسلام ابويه وبنيه وبنى بنيه .(٢)

- مولده :-

ولد بعد عام الفيل بسنتين وأربعة أشهر الا أياما وعاش بعد النبي صلى الله عليه وسلم بعدد ما سبقه النبي صلى الله عليه وسلم بالولادة .(٣)

- نشأته :-

نشأ الصديق -رضي الله عنه- التى انتهى اليها الشرف والمكارم فقد كان رضي الله عنه من قبيلة تيم .

فكان من وجهاء قريش واشرافهم وأحد رؤسائهم ، وذلك أن الشرف في قريش قد انتهى قبل ظهور الاسلام الى عشرة رهط من عشرة أبطن فالعباس بن عبد المطلب من بني هاشم ، وكان يسقى الحجيج في الجاهلية وبقى له ذلك في الاسلام ، وأبو سفيان بن حرب من بني أمية ،

---

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطى : ٢٩ .
(٢) الرياض المستطابة ، يحيى بن أبي بكر العامرى : ٤٠ .
(٣) شذرات الذهب لابن عماد الحنبلي : ١/٢٤ .

وكان عنده العقاب راية قريش فاذا لم تجتمع قريش على أحد رأسوه هو وقدموه . والحارث بن عامر من بني نوفل وكانت اليه الرفادة ، وهي ماتخرجه قريش من أموالها . وترفد به منقطع الحاج ، وعثمان بن طلحة من بني عبد الدار وكانت اليه السدانة والحجاجة ، ويزيد بن زمعه بن الاسود من بني أسد ، وكانت اليه المشورة .

فلا تجمع قريش على أمر حتى يعرضوه عليه فان وافق ولا هم عليه ، والا تخيروا وكانوا له أعوانا ، وأبو بكر الصديق من بني تيم وكانت اليه الاشناق وهي الديات ، والمغارم ، فكان اذا حمل شيئا فسأل فيه قريشا صدقوه وامضوا حمالة من نهض معه ، وان احتملها غيره خذلوه ، وخالد بن الوليد من بني مخزوم وكانت اليه القبة والأعنه ، فانهم كانوا يضربونها ويجتمعون اليها مايجهزون به الجيش ، وأما الأعنة فانه كان على خيل قريش في الحرب ، وعمر بن الخطاب من بني عدى وكانت اليه السفارة في الجاهلية ، وصفوان بن أميه من بنى جمح وكانت اليه الازلام ، والحارث ابن قيس من بني سهم وكانت اليه الحكومة وأموال آلهتهم (١) .

قلت : وفي عمل قريش هذا حسم للمشاكل كلها فلقد اسلموا كل أمورهم التي تعينهم ويهتمون منها الى من لمحوا فيه الكفاءة والسداد .

واسندوا الى سيدنا أبي بكر مهمة عظيمة وهي مهمة الحمالة . فاذا حمل شيئا سئل فيه قريشا صدقوه ، ولم يردوا رأيه لأنهم يعلمون صوابه وهذا أمر ليس بالبسيط فهو يحتاج الى التثبت ويحتاج الى الصدق

---

(١) الخلفاء الراشدون ، محمود شاكر : ٢٩ ، ٣٠ .

والأمانة والوقوف على أعماق الحقيقة التى ستبنى عليها تلك الحالة كلها متوفرة في أبي بكر الصديق . ان العظائم كفؤها العظماء .

ويقول عنه ابن هشام (١) : كان أبو بكر رضي الله عنه انسب قريش لقريش ، وأعلم قريش بها وبما كان فيها من خير وشر ، وكان رجلا تاركا ذا خلق ومعروف ، وكان رجال قريش يأنسونه ويألفونه لغير واحد من الامر لعلمه وتجارته وحسن مجالسته .

* صفاته الخلقية والخلقية

أخرج ابن سعد عن عائشة رضي الله عنها - أنها نظرت الى رجل من العرب مارّا وهي في هودجها فقالت : ما رأيت رجلا أشبه بأبي بكر من هذا . فقلنا صفي لنا أبو بكر فقالت : رجل أبيض . نحيف (٢) . خفيف العارضين (٣) أجنأ (٤) ، لا يستمسك ازاره يسترخى عن حقويه (٥) ، معروض الوجه (٦) ، غائر العينين ، ناتى الجبهه ، عارى الاشاجع هذه صفته .

أما صفاته الخلقية : فلقد كان رضى الله عنه لطيفا حسن المنطق متواضعا حليما رفيقا متأثرا بصفات حبيبه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وبعدها لذلك فقد تجسدت أكثر أخلاق النبى في أبي بكر رضي الله عنه .

---

(١) سيرة ابن هشام : ١/٢٥٠ .
(٢) أجنأ : منحنى الظهر .
(٣) حقويه : الحقو الكشح مابين الخاصره الى الضلع الخلفى .
(٤) معروق الوجه : يعنى قليل لحم الوجه .
(٥) الاشاجع : أصول الاصابع .
(٦) الطبقات الكبرى لابن سعد : ٣/١٨٨ .

ومن نبل اخلاقه انه لم يشرب رضي الله عنه الخمر أبدا وانما حرمها على نفسه .

قالت عائشة رضي الله عنها : حرّم ابو بكر الخمر في الجاهلية فلم يشربها في جاهليه ولا اسلام وذلك أنه مرّ برجل سكران يضع يده في العذرة ويدنيها من فيه ، فاذا وجد ريحها صدّ عنها فحرمها أبو بكر على نفسه .

قلت : لقد كان أبو بكر رضي الله عنه أعقل الناس فها هو حرّم الخمر لما رأى أنها تطيش العقل وتذهبه وعرف أن السكران يتصرف من غير عقل ، ولا تفكير لأن الخمر تخامر عقله وتغطيه فكيف يليق بأبي بكر طاهر النفس ونقيها راجح العقل وكامله أن يسلب نفسه نعمة أنعم الله عليه بها .

فالخمر لا شك أنها كما أخبر عنها الرسول الأمين صلى الله عليه وسلم أم الخبائث فنهين بمن يشربها أن يقع في كل فاحشة وان يقدم على كل جريمة نسأل الله السلامة والعافية .

* صداقته للرسول صلى الله عليه وسلم قبل المبعث

لقد كان بين الصديق رضي الله عنه وبين الرسول صداقة قديمة حتى قبل أن يبعث محمد صلى الله عليه وسلم . فكانا متفقين في كثير من السجايا والخصال ، فمحمد صلى الله عليه وسلم لم يسجد لصنم قط ، وأبو بكر كذلك لم يسجد لصنم قط .

قال عن نفسه في مجمع من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما سجدت لصنم قط ، وذلك أنّي لما ناهزت الحلم أخذني أبو قحافة بيدي فانطلق بي الى مخدع فيه الاصنام . فقال لي هذه الهتك الشمّ العوالي وخلّاني وذهب فدنوت من الصنم فقلت : أني جائع فاطعمني ، أني عار فاكسني ، فلم يجبني فألقيت عليه صخرة فخرّ لوجهه .(١)

وكذلك فهو يوافق الرسول في خصال اخرى فكان الرسول يتميز بالصدق والامانة وعدم الكذب وكان الصديق رضي الله عنه كذلك ، فكان كثيرا ما يجتمع به ، وهذا مما جعله يتأثر برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما دعاه الى الاسلام أجابه ولم يكب ولم يتردد لأنه صديقه وهو أعلم به ويعرف ما كان عليه من جانب الصدق والامانة والاخلاص .

- اسلامه :-

لقد عرفنا أن أبا بكر الصديق كان حنيفيا بفطرته حتى قبل أن يبعث صاحبه محمد صلى الله عليه وسلم ، فهو رضي الله عنه لم يسجد لصنم قط لعلمه بعدم جدوى ذلك ولعلمه أيضا ان هذا الكون له خالق حقيق بالعبادة دون سواه ، فمن حين ما سمع داعي الله الى عبادة الله أجاب مسرعا منقادا من غير أن يكبو أو يتردد وما ذلك الا لعلمه رضي الله عنه ان هذا الدين هو الصواب وهو الحق وان ما عليه آباءه وعشيرته هو الضلال بعينه .

---

(١) انظر كتاب نجباء الانباء لابن ظفر ص : ٤٢ - ٤٣ ، منشورات دار الافاق الجديدة .

فكان أول من صدّق بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم فكان حقيقا بأن يلبس هذا الوسام الذى البسه رسول الله أياه الا وهو لقب الصديق وان كان بعضهم قد قال انه لقب به في الجاهلية .

وها هو رضي الله عنه يروى لنا الخبر عن مراحل اسلامه التي مرّ بها :

قال السيوطي في تاريخ الخلفاء :-

" أخرج ابن عساكر عن يزيد قال : قال أبو بكر الصديق : كنت جالسا بفناء الكعبة ، وكان عمرو بن نفيل قاعدا ، فمرّ به أمية ابن أبي الصلت فقال كيف أصبحت يا باغي الخير ، قال : وهل وجدت ؟ قال : لا فقال :

كل دين يوم القيامة الاّ ما قضى الله في الحقيقة بور (١) .

أما دين هذا النبي ينتظر منا أو منكم قال — يعنى أبا بكر — ولم أكن سمعت قبل ذلك نبى يينظر وييعث قال : فخرجت الى ورقة بن نوفل وكان كثير النظر الى السماء ، كثير همهمة الصدر ، ثم قصصت عليه الحديث . فقال : نعم يابن أخي انّا أهل الكتاب والعلوم ،الا ان هذا النبي الذى ينتظر من أوسط العرب نسبا . قلت : ياعم وما يقول النبى . قال : يقول ما قيل له الا أنه لا يظلم ولا يظالم . فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم آمنت به وصدقته .

قال ربيعة بن كعب : كان اسلام أبي بكر شبيها بالوحي من السماء ،

---

(١) هالك باطل .

وذلك أنه كان تاجرا فرأى رؤيا فقصها على بحيرا الراهب فقال له من أين أنت ؟ قال من مكه . قال من أيّها . قال : من قريش . قال : فأى شيء أنت . قال : تاجر ، قال ان صدق الله رؤياك فانه يبعث نبى من قومك تكون وزيره في حياته وخليفته بعد موته فأسر ذلك أبو بكر في نفسه .(١)

وعن أم سلمة قالت : كان أبو بكر خدنا للنبي صلى الله عليه وسلم وصديقا له . فلما بعث انطلق رجال من قريش الى أبي بكر ، فقالوا : يا أبا بكر إن صاحبك قال . قال : وما شأنه قالوا هذا هو في المسجد يدعو الى عبادة اله واحد . ويزعم أنه نبى . قال أبو بكر رضى الله عنه وقال ذلك قالو : نعم فأقبل أبو بكر الى النبى صلى الله عليه وسلم ، فطرق عليه الباب فاستخرجه فلما ظهر له قال : يا أبا القاسم ما الذى بلغني عنك قال : وما بلغك عني يا ابا بكر . قال : بلغني أنك تدعو الى توحيد الله وزعمت أنك رسول الله . قال : نعم يا أبا بكر ان ربي جعلني بشيرا ونذيرا وجعلنى دعوة ابراهيم ، وأرسلني الى الناس جميعا ، قالأبو بكر رضى الله عنه : والله ما جربت عليك كذبا . وانك لخليق بالرسالة لعظم أمانتك ، وصلتك لرحمك وحسن مقالك مدّ يدك فاني مبايعك .

وروى أنه قال له يا محمد ما الدليل على ما تدعى ، قال الرؤيا التي رأيت في الشام فعانقه وقبل عينيه وقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد أنك رسول الله .(٢)

---

(١) كتاب الخلفاء للسيوطي : ٣٥ .
(٢) الرياض النضرة : ١/٨٤ .

قلت : رحم الله أبا بكر ما اقدره وابعد نظره فهو رضى الله عنه لم يكن امعة في تصديقه لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ولكنه اعتمد على أدلة قوية وخصال حميدة كانت متوفرة في رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنها الامانة حتى لقّب عليه الصلاة والسلام بالامين ولا أحد من قريش ينكر هذا حتى ولو بعد بعثته صلى الله عليه وسلم ، وكذلك فهو واصل للرحم وهذه علامة خير وبركة وهو حسن الفعال كلها فليس صلى الله عليه وسلم بفاحش ولا متفحش (١) ، ولكنه كان على جانب عظيم من الاخلاق الحميدة والحياء من غير مذلة فلما وزنه أبو بكر رضي الله عنه رسول الله بهذه الموازين وجد كفته راجحة فعرف انه حقيق بالرسالة وحقيق بالتكليف فصدقه من غير جدال ولا مراء ولا تلكأ ولا تردد .

وان كانت الرواية صحيحة في طلبه دليلا من محمد على صدق قوله فهو طلب جاء متأخرا عن التصديق والغرض من هذا الطلب هو الاطمئنان الكامل كما طلب ابراهيم من ربه ان يريه كيف يحيي الموتى !! قال تعالى : ((واذ قال ابراهيم ربي ارني كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي (٢))) الآية .

هل كان أول الناس اسلاما ؟

أخرج ابن عساكر من طريق الحارث عن علي رضي الله عنه وقال أول من اسلم من الرجال أبو بكر .

---

(١) متفحش : من يدعي الفحش .
(٢) سورة البقرة ، الآية : (٢٦٠) .

وأخرج ابن سعد في الطبقات عن أبي أروى الدوسي قالوا : أول من اسلم أبو بكر الصديق .(١)

وأخرج بن سعد أيضا عن اسماء بنت أبي بكر قالت اسلم أبي أول المسلمين الا والله ما عقلت أبي الا وهو يدين الدين .(٢)

قال ابن كثير : والظاهر أن أهل بيته صلى الله عليه وسلم اسلموا قبل كل أحد . زوجته خديجه ، ومولاه زيد ، وزوجة زيد أم ايمن وعلي وورقه انتهى .

ولكن ذكر العلماء جمعا بين هذه الاقوال تطمئن اليه النفس :-

فقالوا : ان أول من اسلم مطلقا خديجة بنت خويلد من النساء وأول ذكر اسلم علي بن أبي طالب وهو لم يبلغ وكان مستخفيا باسلامه ، وأول رجل عربي بالغ اسلم واظهر اسلامه أبو بكر ، وأول من اسلم من الموالى زيد بن حارثه ، وهذا متفق عليه ولا خلاف فيه .

وأما قول علي بن أبي طالب ان أول من اسلم من الرجال ابو بكر فيحمل على انه يريد من الرجال البالغين .(٣)

* اضطهاد المشركين له حينما اسلم .

لقد آذاه المشركين حينما اعلن اسلامه وطلبوا منه ان لا يضايقهم ولا يدعو احدا منهم الى ما يدعو اليه محمد لكن أبا بكر لم يستكن لهم ولم

---

(١) الطبقات لابن سعد : ١٧١/٣ .
(٢) الطبقات لابن سعد : ١٧٢/٣ .
(٣) السيرة النبوية لابن كثير : ٢٣٢/١ بتصرف .

يسمع لقولهم فكان يجاهر باسلامه ويعلن صلاته وعبادته وقراءة القرآن الكريم ، وكان يدفع الاذى عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، فلما اجتمع المشركون مرة من المرات على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ ينحي القوم ويقول لهم : " اتقتلون رجلا أن يقول ربي الله ، حتى أنهم قطعوا أحد ظفيرته رضى الله عنه وارضاه ، فلما أحس من قريش كثرة الايذاء والمناوئة اردأن يفرّ بدينه وأن يهاجر الى الحبشة .

* عقدة العزم على الهجرة ورد ابن الدغنة له .

ولقد عزم رضي الله عنه على الهجرة الى الحبشة فلقيه ابن الدغنة فقال الى اين يا أبا بكر ، فقال أخرجني قومي فقال بن الدغنة :ان مثلك لا يخرج انك تكسب المعدوم وتعين على النوائب ولكن ارجع ولك جوارى فرجع ، ثم أخذ أبو بكر رضي الله يعلن عبادته فأشتكت ذلك قريش الى ابن الدغنة فتنصل من جواره ورد عليه أبو بكر جواره (١) .

* صحبته للرسول صلى الله عليه وسلم .

من حين أن بعث الله محمدا بدين الحق ومن حين أن اسلم أبو بكر الصديق كان ملازما لرسول الله صلى الله عليه وسلم ملازمة الظل لصاحبه فلم يفارقه لا في السفر ولا في الحضر كما قال العلماء : وحينما هاجر الرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم الى المدينة هاجر معه وترك أولاده وأهله وتجارته وآثر صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك .

---

(١) البداية والنهاية : ٣/٩٢ .

وكان صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار ، وقد امتدحه الله في محكم التنزيل بذلك حيث قال سبحانه : ((الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا)) (١) .

أقول : حقيق بأبي بكر الصديق أن يكون أفضل هذه الامة بعد نبيها وأفضل الامم قاطبة بعد الرسل لأنه حول طاقته العقلية والجسمية والاقتصادية في سبيل هذا الرسول ودعوته وتحت تصرفه وانه لحقيق باذن الله ان ينجز الله له ما وعده بكونه مع النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبا له في الجنة كما كان صاحبا له في الدنيا كما أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ان حبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحبه لدين الاسلام والدعوة اليه قد انسته حب أهله وتجارته وعشيرته وأقاربه فأصبح رهن اشارة الرسول عليه أفضل الصلاة وازكى التسليم فحظي بالقربى في الدنيا وفي الاخرى .

أخرج الشيخان عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من امتى من أمنّ الناس عليّ في صحبته وماله أبا بكر ، ولو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت أبا بكر ، ولكن اخوه الاسلام ومودته ، لا يبقين في المسجد باب الا سدّ الا باب أبي بكر واللفظ للبخاري (٢) .

---

(١) سورة التوبة ، الآية : (٤٠) .

(٢) رواه البخاري في كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل المهاجرين وفضلهم .

وأقول : وهذا اعتراف من المصطفى صلى الله عليه وسلم بما لأبي بكر من سابقة وفضل فهو يعترف بسبق أبي بكر في الصحبة ويعترف بأنه انتفع بمال أبي بكر وهذا شأن الاتقياء يعترف كل منهم بالفضل لصاحبه .

خرج الترمذى عن ابن عمر رضى الله عنهما : ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر : " انت صاحبي في الغار وصاحبى على الخوض . (١)

- علمه - وفهمه :-

عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " كأني أعطيت عليا (قدحا كبيرا) مملوء لبنا فشربت منه حتى امتلئت ، فرأيتها تجرى في عروقي بين الجلد واللحم ففضلت منها فضله فأعطيتها أبا بكر قالوا يارسول الله هذا علم أعطاكه الله . حتى اذا امتلأت ففضلت فضله فأعطيتها أبا بكر قال صلى الله عليه وسلم : قد اصبتم . أخرجه أبو حاتم . (٢)

أقول : ان صح هذا الحديث فأبو بكر رضي الله عنه يعتبر أعلم هذه الأمة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم .

ومما يدل ايضا على علم أبو بكر رضي الله عنه تقديم الصحابة من بعده لقوله في مسألة من المسائل فهذا عمر ابن الخطاب اذا أراد حل مسألة رجع

---

(١) رواه الترمذى في باب المناقب باب (١٦) ح ٣٦٧٠ وقال : حديث حسن صحيح غريب .

(٢) الرياض النضرة : ١/٥٢ وقال : وقد جاء في الصحيح مثل هذا لعمر ولعل الرؤيا تعددت في ذلك ، وعلى ذلك بجمل فان الحدثين صحيحان وان كان حديث عمر متفقا عليه .

الى كتاب الله فان لم يجد فالى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فان لم يجد رجع الى قول ابي بكر فيها ان كان له فيها قول والا جمع أهل المشورة واجتهدوا برأيهم .

وقد ثبت عن ابن عباس رضي الله عنه انه كان يفتى من كتاب الله فان لم يجد فبما سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فان لم يجد أفتى بقول أبي بكر وعمر ولم يكن بفضل ذلك بعثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين وابن عباس خير الأمة واعلم الصحابة وافقههم في زمانه (١) .

وقال النووى في تهذيبه : استدل اصحابنا على عظم علمه بقوله في الحديث الثابت في الصحيحين : والله لا قاتلن من فرّق بين الصلاة والزكاة والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعه .

واستدل الشيخ أبو اسحاق بهذا وغيره في طبقاته على أن أبا بكر الصديق اعلم الصحابة لأنهم كلهم وقفوا عن فهم الحكم في المسألة الا هو ، ثم ظهر لهم ان قوله الصواب فرجعوا اليه وروينا عن ابن عمر أنه سئل : من كان يفتى الناس في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ما أعلم غيرهما (٢) .

وأخرج الشيخان عن أبي سعيد الخدرى قال : خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس وقال : ان الله تبارك وتعالى خيّر عبدا بين الدنيا

---

(١) أبو بكر الصديق ، علي الطنطاوى ص : ٢٣٤ .
(٢) تاريخ الخلفاء ، للسيوطي : ٤١ .

وما عنده . فأختار ذلك العبد ما عند الله . فبكى أبو بكر وقال نفديك بآبائنا وأمهاتنا فعجبنا لبكائه أن يخبّر الرسول صلى الله عليه وسلم عن عبد خير ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المخير ، وكان ابو بكر اعلمنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان من امنّ الناس عليّ في صحبته وماله أبا بكر ولو كنت متخذا خليلا ، غير ربي لاتخذت أبا بكر ، ولكن اخوة الاسلام ومودته لا تبقين باب الاسد الا باب أبي بكر .(١)

أقول : وهذا الحديث يدل على عمق أبي بكر وعلمه وقد اعترف الصحابة بذلك فقالوا ، وكان ابو بكر أعلمنا حيث لم يفطن لهذا الامر منهم الا هو رضي الله عنه .

وهو اقرأ لكتاب الله من جميع الصحابة حيث قدّمه الرسول صلى الله عليه وسلّم وهو القائل : يؤم القوم اقرأهم لكتاب الله .(٢)

وكذلك فهو اعلم الصحابة بالسنة وجدير به رضي الله عنه ان يكون اعلمهم لأنه كان ملازما للرسول صلى الله عليه وسلم فصاحبا له فهو قد حفظ كثيرا من سنته القوليه ، وقد انطبعت في ذهنه السنن الفعلية التي كان يفعلها الرسول وأبو بكر معه .

وكان له باع طويلة في علم الانساب قال السيوطي :-

وكان الصديق رضي الله عنه مع ذلك اعلم الناس بانساب العرب لاسيما

---

(١) رواه البخارى في كتاب فضائل الصحابة ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: سدوا الابواب الا باب أبي بكر ، ح ٣٤٥٤

(٢) رواه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب من احق الناس بالامامة ح ٦٧٣ .

قريش ، وكان خبير بن مطعم من انسب قريش لقريش والعرب قاطبه وكان يقول أني أخذت النسب من أبي بكر الصديق ، وكان أبو بكر الصديق من انسب العرب (١) .

ولما هجا حسان قريشا ، قالت قريش : ان هذا الشتم ما غاب عنه ابن أبي قحافة (عنوا أنه عالم بالانساب والأخبار فحسّان يراجعه ويسأله عنها .

وفي الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال لحسان : لا تعجل ، فان أبا بكر أعلم قريش بأنسابها (٢)) .

وكان من الذين لهم قدم السبق في تعبير الرؤيا . وكان يعبرها زمن النبي صلى الله عليه وسلم .

أخرج ابن سعد في طبقاته عن ابن شهاب قال : رأى النبي صلى الله عليه وسلم رؤيا فقصها على أبي بكر . فقال : يا أبا بكر رأيت كأني استبقت أنا وأنت درجه فسبقتك بمرقاتين ونصف . قال : خير يارسول الله . يبقيك الله حتى ترى ما يسرك ويقرّ عينك قال : فأعاد عليه مثل ذلك ثلاث مرات واعاد عليه مثل ذلك .

فقال له في الثالثة يا أبا بكر رأيت كاني استبقت أنا وانت درجة فسبقتك بمرقاتين ونصف قال يارسول الله يقبضك الله الى رحمته ومغفرتك وأعيش بعدك

---

(١) انظر : كتاب الخلفاء للسيوطي : ٤٣ .
(٢) صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل حسان بن ثابت ح ٢٤٩٠ .

سنتين ونصفا .[1]

وروى عن محمد بن سيرين انه قال لم يكن بعد النبى أهيب لما لا يعلم من أبي بكر .[2]

أقول : ولو لم يكن يعرف الرسول صلى الله عليه وسلم ان أبا بكر سيعبر هذه الرؤيا لم يسأله ، ولكنه علمه أهلها لذلك . حيث انه لما عبرها لم يخطئه الرسول عليه افضل الصلاة وازكى التسليم فكان جوابه موافقا للحقيقة.

قال السيوطي في تاريخ الخلفاء : ومن الدلائل على أنه أعلم الصحابة حديث صلح الحديبية .

روى البخارى ومسلم : لما كان صلح الحديبية قال عمر رضي الله عنه : اتيت النبى صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية فقلت يارسول الله : الست نبى الله حقا . قال : بلى . قلت : فلم نعطى الدنية في ديننا . فقال : اني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصرى . قلت : اولست كنت تحدثنا اننا سنأتي البيت فنطوف به فقال أو اخبرتك انا نأتيه العام قلت : لا قال : فانك آتيه ومطوف به .

فأتيت أبا بكر فقلت : يا أبا بكر اليس هذا نبي الله حقا قال : بلى قلت : السنا على الحق وعدونا على الباطل . قال : بلى . قلت : فلم نعطى الدنية في ديننا قال : ايها الرجل انه رسول الله وليس يعصيه وهو ناصره فاستمسك بغرزه (اعتلق به ولا يخالفه فوالله انه على الحق . قلت : أوليس

---

(١) انظر : الطبقات لابن سعد ١٧٧/٣ .
(٢) انظر : المرجع السابق ١٧٧/٣ .

كان يحدثنا أننا سنأتي البيت ونطوف به . قال أفا خبرك أنك تأتيه العام ؟ قلت : لا قال ! فانه آتيه ومطوف به .[1]

قال ابن القيم في روضة المحبين : أجاب على جواب رسول الله صلى الله عليه وسلم حرفا بحرف من غير تواطئ ولا تشاعر ، بل موافقة فحسب لمحبوب .[1]

قلت : لقد أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم وأدرك ابو بكر أيضا ان هذا الصلح فيه الخير كل الخير لهذه الدعوة الناشئة وصاحبها واصحابه أيضا ، فبهذا الصلح آمنوا من أذى قريش وحربهم فأخذوا يوطدون أقدامهم ويبنون دولتهم الجديدة الناشئة ويدعون لدعوتهم ، فليس والله معاهده رسول الله صلى الله عليه وسلم للكفار خوفا منهم أو ذلا وانما طمع فان يكفوا شرهم لكي يتمكنون من ارساء دعائم دعوتهم ودولتهم في المدينة فرسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر الى الأمور بمنظار بعيد . كيف لا . وهو الحليم الرشيد .

ولم يفطن لذلك الأمر من الصحابة الا من فقهه الله وعلّمه الا وهو ابا بكر الصديق .

أخرج ابن عساكر عن الواقدي قال : كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقول : ما كان فتح أعظم في الاسلام من فتح الحديبية ، ولكنّ الناس يؤمئذ

---

(١) رواه البخاري في كتاب الشروط ، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب ح ٢٥٨١ ، ورواه مسلم في كتاب الجهاد والسير باب صلح الحديبية في الحديبية ح ٧٨٥ .

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي : ٤٣ .

قصر رأيهم عما كان بين محمد وربه والعباد يعجلون والله لا يعجل لعجلة العباد حتى يبلغ الامور لما أراد .[1]

ومن الأدلة على علمه فهمه للآيات القرآنية :-

روى الترمذى في جامعة أن أبو بكر قال : (ياأيها الناس انكم تقرأون هذه الآية : ((يا أيها الذين آمنوا لا يضركم من ضل اذا اهتديتم)) .

الا وأني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (ان القوم اذا رأو الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده)[2] .

فهذا فهم عميق للنصوص لا يصل اليه الا من وهبه العقل المتفصح والعلم الكثير .

فلا عزوى ان يكون أبو بكر من أعلم الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو من المتقين لله واخشاهم له وقد اخبر الله ان من اتقاه علمه قال تعالى : ((واتقوا الله ويعلمكم الله))فهذه كرامة اكرم الله أبو بكر بها ، لأنه لا يخفى على ذى لب فضل العالم على الجاهل وما اعدة الله للعلماء من الأجر الوفير والخير الكثير .

---

(١) حياة الصحابة : ١/١٥٧ .

(٢) رواة الترمذى في كتاب التفسير ، باب تفسير سورة المائدة ح ٣٠٥٧ .

* **حلمـــــه :**

عن سعيد بن المسيب أنه قال : " بينما رسول الله ـ صلى اللـــه عليه وسلم ـ جالس ومعه أصحابه وقع رجل بأبي بكر فآذاه ، فصمت عنـــه أبو بكر ، ثم آذاه الثالثة ، فانتصر منه أبو بكر ، فقام رسول اللـــه ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين انتصر أبو بكر ، فقال أبو بكر : أوجدت علي يا رسول الله ؟ فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ نزل ملك مـــن السماء يكذبه بما قال لك ، فلما انتصرت وقع الشيطان ، فلم أكـــن لأجلس اذا وقع الشيطان " (١) .

ولم يكن رسول الله ليسكت حينما أوذى صاحبه الا لأنه علـــم أن هناك محام نزل من السماء بأمر الله له فأصبح يكذب هذا الرجـــل ، وهذا يدل على فضل أبي بكر ومنزلته الرفيعة عند الله ـ رضي الله عنه ـ ولو لم يكن نزل ذلك الملك من السماء لأسكت رسول الله هذا الرجـــل فهو لا يرضى أن يؤذى أبا بكر أبدا حيث يقول : " هل أنتم تاركـــوا لي صاحبي " ، وفي رواية : أن رجلا شتمه فسكت مرارا ثم رد عليـــه ، فقام النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فقال أبو بكر : شتمني وأنت جالـــس ، فلما رددت عليه قمت ، قال : ان ملكا كان يجيب عنك ، فلمـــا رددت ذهب الملك وجاء الشيطان ، فلم أجلس عند مجيء الشيطان ، فـــنزل قوله تعالى : ((لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم)) (٢)

---

(١) رواه أبو داود في كتاب الأدب ، في باب الانتصار (٤ / ٢٧٤) .

(٢) أبو بكر الصديق - علي الطنطاوي / ٢٤٩

* **شجاعته :**

قال السيوطي في كتابه تاريخ الخلفاء أخرج البزار في مسنده عن علي أنه قال : أخبروني بأشجع الناس ؟ فقالوا : أنت . قال : أما أني ما بارزت أحدًا الا انتصفت منه ، ولكن أخبروني بأشجع الناس ؟ قالوا : لا نعلم ، فمن ؟ ، قال : أبو بكر ، انه لما كان يوم بدر ، فجعلنا لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عريشا ، فقلنا من يكون مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لئلا يهوي اليه أحد من المشركين ؟ فوالله ما دنا أحد الا أبو بكر شاهرا بالسيف على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا يهوى اليه أحد الا هوى اليه فهو أشجع الناس .(١)

أقول : تظهر شجاعة أبي بكر رضي الله عنه في هذا الموقف لأن الجميع يعلم أن قريشا يريدون قتل محمد جميعهم فسيكون هذا المكان أخطر الأمكنة ، لأن الرسول موجود فيه ، ولم ينبرى لهذا الأمر الجلل الا المؤمن الشجاع أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ وفعلا قام بالمهمة خير قيام ، وقد وقف موقفا عظيما سطره له التاريخ ، وسنتعرض لعظمة هذا الموقف في موضع آخر ان شاء الله عندما أتكلم على جهاده .

ومما يدل أيضا على شجاعته ـ رضي الله عنه ـ موقف آخر تأخر فيه القوم ولكنه تقدم بكل قوة وعزيمة دون تفكيرا في العواقب .

قال السيوطي : قال علي رضي الله عنه : " ولقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ وأخذته قريش فهذا يجبأه ، وهذا يتلتله وهم

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص : ٣٦-٣٧ .

يقولون : أنت الذى جعلت الآلهة الها واحدا . قال : فوالله ما دنا منا أحد الا أبو بكر ليضرب هذا ، ويجبأ هذا ، ويتلتل هذا ، وهو يقول : ويلكم ؟ أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله ، ثم رفع علي بردة كانت عليه فقال : أنشدكم الله ؟ أمؤمن آل فرعون خير أم أبو بكر ؟ فسكت القوم . فقال : ألا تجيبونني ؟ فوالله لساعة من أبي بكر خير من ألف ساعة من مثل مؤمن آل فرعون .

أقول : نعم حقيقة انها تبرز شجاعة أبي بكر - رضي الله عنه - في هذا الموقف وأمثاله ، لأن نفسه رخصت في سبيل الدفاع عن حبيبه وعن دعوته المباركة الجديدة التي أراد المشركون عضد شوكتها واستئصالها من جذورها .

وسبب سؤال أبي الحسن - كرم الله وجهه - الصحابة عن أيهما أفضل أبو بكر أم مؤمن آل فرعون هو أنه تذكر وحدة الموقف ، فلقد حصل مثل هذا الموقف لمؤمن آل فرعون مع موسى عليه السلام - وان تغيرت الصورة فقال لهم : ((أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم فان يك كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم ، ان الله لا يهدى من هو مسرف كذاب))[1] .

وان كان الموقف متشابه الا أن بين الرجلين اختلاف من عدة نواح منها :

أولها : أن مؤمن آل فرعون دافع بلسانه فقط ولم تصل درجة دفاعه الى أن يبطش بيده ، أما أبو بكر رضي الله عنه فلقد ذادهم كما تذاد

---

(١) سورة غافر ، آية : ٢٨ .

الابل العطاش عن الماء ، فجبأ أحدهم وتل الآخر ، وهو يقول : ويلكم ... أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله " ، حتى تفرق القوم وخلوا سبيل صاحبه .

الثانية : أن مؤمن آل فرعون علق على قوله هذا أمرين بقوله : " فان يك كاذبا فعليه كذبه ، فكأنه لم يجزم بصدق موسى عليه السلام أوأنه جزم في صدره وأضمر ذلك خشية أذاهم ، أو أنه لم تتضح الرؤية عنده بعد ولم يجزم بصدقه حقيقة ، ثم حصل ان صدقه يقينا فيما بعد ، وكلا الأمرين محتمل .

أما أبو بكر فلم يكذب من أول وهلة عرض عليه الرسول صلى الله عليه وسلم الاسلام .

فرحم الله أبا الحسن حينما أجاب نفسه بأن ايمان أبي بكر أعظم من ايمان مؤمن آل فرعون فهو ـ رضي الله عنه ـ لم يحكم بهذا الحكم اعتباطا وانما حكم به بعد أن وزنه بمعايير عقله فاتضحت له الفروق .

وأخرج البخارى عن عروة بن الزبير قال : سألت عبدالله بن عمرو ابن العاص عن أشد ما صنع المشركون برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : رأيت عقبة بن معيط جاء الى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو يصلي فوضع رداءه في عنقه فخنقه خنقا شديدا ، فجاء أبو بكر حتى دفعه عنه فقال : " أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم " (١) .

(١) رواه البخارى في كتاب فضائل الصحابة ، باب (٥) ح : ٣٤٧٥ .

أقـــول :

رحم الله أبا بكر ما أشجعه تلكم الشجاعة تجسدت في تلك النفـــس الطاهرة الرقيقة ، تجسدت في هذا الرجل ، رقيق القلب الـــــذى اذا قرأ القرآن لم يتمالك نفسه من البكاء من خشية الله جل وعلا .

ولكن اذا غضب لله فهو الأسد المزير الذى أعتدى على عريشـــه ، وهو الجبل الراسي الذى لا تحركه الرياح ، هكذا كان أبو بكر - رضـــي الله عنه وأرضـــاه - .

* هجرته الى المدينة ومرافقته للرسول .

ضاق المسلمون ذرعا بما لاقوه من الكفّار من أذى ومضايقة فأذن لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجرة الى المدينة .

وكان أبو بكر الصديق كثيرا ما يستأذن الرسول في الهجرة الى المدينة يريد لعله يجد له انصارا وأعوانا يقومون معه بهذه المهمة العظيمة التي تحملها رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته رضي الله عنهم ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأبي بكر لا تعجل لعل الله أن يجعل لك صاحبا . فيطمع أبو بكر أن يكونه .(١)

روى البخارى في صحيحه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : "أني رأيت دار هجرتكم ذات نخل بين لعبتين وهما الحرتان ، فهاجر من هاجر قبل المدينة ورجع عامة من هاجر الى أرض الحبشة الى المدينة ، وتجهز أبو بكر قبل المدينة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم على رسلك فاني ارجو أن يؤذن لي ، قال أبو بكر : وهل ترجو ذلك بأبي انت قال نعم فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وليصحبه وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السمر(٢) وهو الخبط أربعة أشهر .

قالت عائشة فبينما نحن في بيتنا وقت الظهر انا واختى وليس عندنا الا أبا بكر اذ هم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قام قائم الظهيرة وكان لا يخطئه يوما أن يأتي الى بنت أبي بكر أول النّهار أو آخره ، فلما رأى النبى صلى الله عليه وسلم جاء وقت الظهر . قال : ما جاء بك يارسول الله الا امر

---

(١) سيرة ابن هشام : ٢/٤٨٠ .
(٢) السمر : شجر ينبت في البادية .

حدث ، فلما دخل عليهم أبو بكر البيت قال أخرج من عندك . قال : ليس علينا عين ، انما هي بنتاى قال : ان الله قد اذن لي بالخروج الى المدينة فقال أبو بكر يارسول الله الصحابة ! الصحابة ! قال :الصحابة قال أبو بكر خذ احدى الراحلتين وهما الراحلتان اللتان كان يعلنهما أبو بكر رضى الله عنه يعدّهما للخروج اذا اذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاعطاه احدى الراحلتين فقال : خذها يارسول الله فارتحلها ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم قد اخذتها بالثمن .(١)

نعم لقد فرح رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أن الله اذن له بالهجرة وكذلك فرح صاحبة أبا بكر لانهما وجدا ان بلدهما الاول مكة المكرمة ليس اهلها كفئا لما خصهم الله من الكرامة بأن بعث النبى صلى الله عليه وسلم من بينهم فلما مضت السنين وقريش غالبتها يناؤون الدعوة ويحاربونها رأوا أن يغيروا المكان وان يهاجروا الى بلد قد تعاهدوا معأهله بأن ينصرونهم ويمكنونهم ويمنعونهم مما يمنعون منه أهليهم وأولادهم .

أما أبو بكر ففرح فرحا أعظم وأعظم حيث ان عائشة رضي الله عنها تقول : ما رأيت أحدا يبكى من الفرح قبل أبي بكر لما أخبره الرسول صلى الله عليه وسلم بأن الله أذن له ومن حقه ان يفرح كيف . لا ، وهو سيصاحب رسول الله سيد ولد آدم في هذه الهجرة المباركة الميمونة .

ثم بعد ذلك عمدا الى غار بجبل ثور بأسفل مكة فدخلاه ، وأمر

---

(١) رواه البخارى في كتاب الكفالة باب جوار أبي بكر في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وعقده ح ٢١٧٥ .
ورواه أحمد : ٦/١٩٨ .

أبو بكر الصديق ابنه أن يتسمع لهما ما يقول الناس فيهما نهارا ثم يأتيهما اذا أمسى بما يكون في ذلك اليوم من الخبر ، وأمر عامر بن فهيرة أن يرعى الغنم في النهار ثم يريحها عليهما اذا أمسى في الغار ، فكان عبدالله بن أبي بكر يكون في قريش نهاره معهم يسمع ما يأتمرون به وما يقولون في شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر ثم يأتيهما اذا أمسى متخبرهما الخبر ، وكان عامر بن فهيره يرعى في غنم أهل مكة ، فاذا أمسى اراح عليهما غنم أبي بكر فاحتلبا وذبحا ، فاذا غدا عبد الله بن أبي بكر من عندهما الى مكة أتبع عامر بن فهيره أثره بالغنم يعفي عليه .(١)

وكان أبو بكر رضي الله عنه في وقت ذهابه هو ورسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغار جعل يمشي ساعة بين يديه وساعة خلفه حتى فطن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا أبا بكر مالك تمشي ساعة خلفي وساعة بين يدى فقال يارسول الله اذكر الطلب فأمشي خلفك ، ثم اذكر الرصد فأمشي بين يديك ، فقال : يا أبا بكر لو كان شيء لاحببت أن يكون بك دوني " قال : نعم والذى بعثك بالحق فلما انتهيا الى الغار قال أبو بكر مكانك يارسول الله حتى استبرأ لك الغار ، فدخل فأستبرأه حتى اذا كان ذكر انه لم يستبرئ الجحرة ، فقال مكانك يارسول الله حتى استبرئ فدخل فأستبرأ ثم قال : أنزل يارسول الله فنزل ، وأنه لما دخل الغار سدد تلك الاحجرة كلها ، وبقى منها جحرا وأحل فألقمه كعبه فجعلت الافاعي تنهشه ودموعه تسيل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير : ٣/١٧٧ .

لا تحزن ان الله معنا (١) .

وقد رقاه رسول الله صلى الله عليه وسلم من ريقه المبارك فزال عنه ما يجده .

وروت عائشة أن أبا بكر قال لها : لو رأيتني ورسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صعدنا الغار فأما قدما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقطرنا دما وأما قدماي فعادتا كانهما صفوان .

فلما رأى أبو بكر انها قد حفيت قد ماه حمله على كاهله وجعل يشتد به حتى أتى فم الغار فأنزله (٢) .

وذكر صاحب كتاب صفة الصفوة حديثا في سياق أفعاله الجميلة قال : لما كان ليلة الغار قال : أبو بكر يارسول الله دعني ادخل قبلك فان كان حية أو شيء كانت لي قبلك . قال : ادخل ، فدخل أبو بكر فجعل يلتمس بيديه كلما رأى حجرا قال تبوبه (٣) فشقه ثم القمه الحجر حتى فعل ذلك تبوبه أجمع قال فبقي جحر فوضع عقبه عليه ثم ادخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما اصبح قال له النبي صلى الله عليه وسلم فأين ثوبك يا أبا بكر فأخبره بالذي صنع ، فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه وقال : " اللهم اجعل أبا بكر معي في درجتي يوم القيامة " فأوحى الله عز وجل اليه ان الله تعالى قد استجاب لك (٤) .

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٣/١٧٧ .
(٢) الرياض النضرة ١/١٠٦ .
(٣) قال تبوبه : العرب تستعمل القول تعبيرا عن جميع الافعال .
(٤) صفة الصفوة ١/٢٤٠ وخرجه أبو نعيم في الحلية ١/٣٣ .

قلت : مواقف عظيمة وقفها الصديق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم منها ما هو يضحي بأغلى ما يملك وهي نفسه التي بين جنبيه يقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يتأخر عنه ويأتي عن يمينه وعن شماله يريد أن لا يصاب الرسول صلى الله عليه وسلم بأذى ويريد أن يفديه بنفسه رضوان الله عليه .

ثم لما وصلوا الى الغار في تلك الليلة المظلمة طلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون هو أول من يدخل مخافه أن يكون في الغار ما يؤذى من حيّات أو عقارب أو نحو ذلك فدخل رضوان الله عليه وجعل يلتمس الثقوب ويشق ثوبه ثم يسدّ تلك الاجحرة مخافة ان يخرج منها فتؤذى صاحبه أو يؤذيه ثم جعل حجرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لكي ينام مرتاحا ثم هو يلدغ وتتساقط دموعه من الالم ولا يريد أن يوقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى شعر الرسول بذلك لما تساقطت دموع أبو بكر عليه فرقاه وبرأ .

انه الفداء الذى لا أعظم منه اليس هذا يعتبر من آثار الصديق في تبليغ هذه الدعوة وكونها تعلو ولا يعلى عليها فهو رؤوف بصاحبها ويعلم يقينا لا يخالجه شك بأن الله ناصر لدينه ومعلى لكلمته فهنيئا له بما قدم وهنيئا له بما وعده الله من منزلة عالية في الجنة .

وفي الحقيقة ان هذا هو شأن الداعية الحق فنجده يتكبد الصعاب في سبيل دعوته غير مبال بما يصيبه من اذى سواء كان حسيا أو معنويا أو نحو ذلك .

وحقيق بداعية مثل هذا أن تعلو دعوته وان ينصر الله به الدين ويعزّ به المسلمين .

ثم بعد ذلك :

استأجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رجلا (١) من بني الديل ، وهو من بني عبد بن عدّى هاديا خريتا (٢) (والخريت الماهر بالهداية قد غمس حلفا في آل العاصي بن وائل السهمي) وهو على دين كفار قريش . فأمناه ، فدفعا اليه راحليتهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال فأتاهما براحلتيهما صبح ثلاث وانطلق معهما عامر بن فهيره ، والدليل فأخذ بهم طريق السواحل (٣) .

وروى ابن هشام في السيرة ان سراقة بن جعشم قال : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكه مهاجرا الى المدينة ، جعلت قريش فيه مائة ناقة لمن ردّه عليهم قال : فبينما أنا جالس في نادى قومي اذ أقبل رجل منّا حتى وقف علينا ، فقال : والله لقد ركبة ثلاثة مروا علىّ آنفا ، انى لاراهم محمدا واصحابه ، قال : فأومأت اليه بعينى !! ان أسكت ثم مكثت قليلا ثم قمت فدخلت بيتي ، ثم أمرت بفرسي ، فقيد لي الى بطن الوادى ، وأمرت بسلاحي فأخرج لي من بطن حجرتي ، ثم أخذت قداحي التي استقسم بها ، ثم انطلقت فلبست لأمتى (٤) ، ثم أخرجت قداحي فاستقسمت بها فخرج السهم الذى اكره " لا يضره " قال وكنت أرجو أن اردّه لقريش فآخذ المائة ناقة ، قال : فركبت على أثره ، فبينما فرسي يشتد بي عثر بي فسقطت

---

(١) هو عبد الله بن الاريقط .

(٢) قال الزمخشرى الخريت : هو الماهر بالدلالة الذى يهتدى لأخرات المفازة وهي مضايقها وطرقها الخفية ، الفائق للزمخشرى جـ : ١ ص : ٣٦١ ط دار المعرفة ، ذكر في حرف الخاء مع الراء .

(٣) رواه البخارى في كتاب فضائل الصحابة باب ٧٤ ح ٣٦٩٤ .

(٤) اللأمة : الدرع والسلاح .

قال : فقلت ما هذا . قال ثم أخرجت قداحي فاستقسمت بها فخرج السهم الذى اكره " لا يضره " قال : فأبيت الا أن أتبعه .(١)

ثم روى لنا أبو بكر بقية القصة قال : فارتحلنا والقوم يطلبوننا فلم يدركنا أحدا منهم الا سراقة بن جعشم ، فقلت : هذا الطلب يارسول الله قد لحقنا ، فبكيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحزن ان الله معنا ، فلما دنا منا ، وكان بيننا وبينه قدر رمحين أمر ثلاثة ، قلت : هذا الطلب يارسول الله وبكيت فقال : (ما يبكيك) قلت ما والله على نفسي أبكي ولكن أبكي عليك ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : " اللهم اكفناه بما شئت . قال : فساخت فرسه في الارض الى بطنها ، فوثب عنها ثم قال يا محمد قد علمت أن هذا عملك فأدع الله أن ينجيني مما أنا فيه فوالله لأعمين على من ورائي من الطلب ، وهذه كنانتي فخذ منها سهما فانك ستمر عليّ أبلي وغنمي في مكان كذا وكذا فخذ منها حاجتك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حاجة لي في ابلك ، ودعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق راجعا الى اصحابه ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتيا المدينة ليلا فتنازعه القوم أيهم ينزل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني أنزل الليلة على بنى النجار أخوال بني عبد المطلب اكرمهم بذلك فخرج الناس حين قدمنا المدينة في الطريق وعلى البيوت من الغلمان والخدم يقولون جاء محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أصبح انطلق فنزل حيث أمر .(٢)

---

(١) السيرة لابن هشام ٢/٤٨٩ .

(٢) الرياض النضرة ١٠/١١١ ، ١١٢ .

قلت :-

ولا غرابة في هذا الموقف وامثاله ، لاغرابة ان تحصل هذه المعجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه أبو بكر الصديق ، وما أكثر المعجزات والغرائب التي حصلت لسيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم .

ولقد كانت هذه الهجرة المباركة نصرا مبينا للاسلام وعزّا فوجدوا اخوانا لهم قاسموهم أموالهم وازواجهم وأى اكرام أعظم من هذا الاكرام انه الاسلام الذى ألف بين قلوبهم فجعل الاشخاص من القبائل المتباعدة اخوة متشاطرين للاموال والنساء ، واصبح الاخوان من النسب اعداء يشهر كل واحد منهم سيفه لقتل صاحبه ان الأخوة الحقيقية هو أخوّة الايمان ولو تباعدت الانساب ، فاكرم برسول الله مهاجرا واكرم بصاحبه أبو بكر رضي الله عنه مرافقا - وأكرم بالمدينة منزلا واكرم بأهلها انصارا وأعوانا وأخوه .

* الآيات والاحاديث التي وردت في فضله .

قال الله تعالى : ((الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن انّ الله معنا فأنزل سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم))(١) .

قال ابن كثير : (الا تنصروه) أى تنصروا رسوله فان الله ناصره ومؤيده وكافيه وحافظه كما تولى نصره .

---

(١) سورة التوبة ، الآية (٤٠) .

اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين ، أى عام الهجرة لما همّ المشركون لقتله أو حبسه أو نفيه فخرج منهم هاربا صحبة صديقه وصدّيقه وصاحبه أبي بكر بن أبي قحافة ، فلجأ الى غار ثور ثلاثة أيام ليرجع الطلب الذين خرجوا في آثارهم ثم يسيروا نحو المدينة ، فجعل ابو بكر يخرج ان يطلع عليهم فيخلص الى الرسول صلى الله عليه وسلم منهم اذى فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يسكّنه ويثبته ويقول : " يا أبا بكر ما ظنك بأثنين الله ثالثهما " فأنزل الله سكينته عليه أى على رسوله وقيل على أبي بكر .

قلت : ولا يمنع أن تكون السكينة نزلت عليهما معا .

قال الله تعالى : ((ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبّون أن يغفر اللّه لكم والله غفور رحيم)) (١) .

ولا يأتل : يعنى لا يحلف ، اولو الفضل : أى الطول والصدقة والاحسان

قال بن كثير : نزلت هذه الآية في الصديق رضي الله عنه ، حين حلف أن لا ينفع مسطح بن أثاثه بنافعه أبدا بعد ما قال في عائشة ما قال حيث خاض مع الذين خاضوا في حديث الافك . فلما أنزل الله براءة أم المؤمنين طابت النفوس المؤمنة واستقرت وتاب الله على من تكلم من المؤمنين في ذلك ، واقيم الحد على من أقيم عليه شرع تبارك وتعالى وله الفضل والمنّة يعطف الصديق (٢) رضي الله عنه لأنه كان معروفا بالمعروف له الفضل على الاقارب والاجانب فلما

---

(١) سورة النور ، الآية : (٢٢) .
(٢) قيل انه اقيم على حسان ومسطح وحمنه بنت جحش .

نزلت هذه الآية : ((لا تحبون أن يغفر الله لكم)) قال الصديق : بلى والله أنا نحبّ ان تغفر لنا يا ربنا " . ثم أرجع الى مسطح ما كان يعلم من الصدقة ، وقال والله لا انزعها منه ابدا " (١) .

ومن الآيات أيضا قوله تعالى : ((ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير)) (٢) .

قال الشوكاني : أخرج بن عساكر من طريق عبد الله عن بريدة ، عن ابيه في قوله وصالح المؤمنين " قال أبو بكر وعمر " (٣) .

ومن الآيات التي نزلت فيه رضي الله عنه قوله تعالى :-

((فأنذرتكم نارا تلظى لا يصلاها الا الاشقى الذى كذب وتولى وسيجنبها الاتقى الذى يؤتى ماله يتزكى وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى ولسوف يرضى)) (٤) .

قال ابن الجوزى :

الاتقى : أبا بكر الصديق في قول جميع المفسرين .

الذى يؤتي ماله يتزكى (أى يطلب أن يكون عند الله زاكيا ولا يطلب الرياء ولا السمعة .

وما لأحد عنده من نعمة تجزى : أى لم يفعل ذلك مجازاة لید اسديت اليه .إلا ابتغاء وجه ربه الاعلى : أى طلبا لثواب ربه . ولسوف يرضى : أى بما يعطى في الجنة من الثواب (٥) .

---

(١) ابن كثير : ٣/٢٧٦ .
(٢) سورة التحريم ، الآية : (٤) .
(٣) فتح القدير : ٥/٢٥٣ .
(٤) سورة الليل ، الآية : (١٧-١٨)
(٥) زاد المسير : ٩/١٥٢ .

* وأما الأحاديث التي وردت في فضله فكثيرة منها .

ما أخرجه الشيخان عن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " من انفق زوجين من شيء من الاشياء في سبيل الله دعي من أبواب الجنة يا عبد الله هذا خير ، فمن كان من باب الصلاة دعي من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة ، ومن كان أهل الصيام دعي من باب الريان ، فقال أبو بكر - ما على من يدعى من تلك الابواب من ضرورة فهل يدعى منها كلها احد يارسول الله قال :" نعم ، فأرجو أن تكون منهم يا أبا بكر " (١) .

قلت :-

وهذا دليل قاطع على أن لأبي بكر سابقة في كل طاعة لله ولرسوله ولو لم يكن كذلك لما استحق ان يدعى من أبواب الجنة الثمانية .

وأخرج البخارى عن أبي سعيد رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ان من أمنّ الناس على في صحبته وماله أبا بكر ، ولو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلا ، ولكن اخوه الاسلام " (٢) .

وأخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من اصبح منكم اليوم صائما قال أبو بكر : انا قال فمن تبع منكم جنازة ؟ قال ابو بكر أنا قال : فمن أطعم اليوم مسكينا قال أبو بكر أنا فقال صلى الله عليه وسلم ما اجتمعن في امرين الا دخل الجنة " (٣) .

---

(١) رواه البخارى في كتاب الصوم باب (الريان للصائمين) ح (١٧٩٨) .
ورواه مسلم في كتاب الزكاة باب من جمع الصدقة واعمال البر (١٠٢٧) .

(٢) رواه البخارى في كتاب فضائل الصحابة باب قول النبي صلى الله عليه وسلم سدوا الابواب الا باب أبي بكر . ح . (٣٤٥٤) .
ورواه الترمذى في كتاب المناقب باب مناقب ابي بكر رضي الله عنه ح (٣٦٦٠) .

(٣) رواه مسلم في كتاب الزكاة باب من جمع الصدقة وأعمال البر ح (١٠٢٨) .

وأخرج أحمد بسند حسن عن ربيعة الاسلمي رضي الله عنه قال : جرى بيني وبين أبي بكر كلام فقال لي كلمة كرهتها فندم فقال ياربيعة رد عليّ مثلها حتى يكون قصاصا ، قلت : لا أفعل قال أبو بكر : لا تقولن أو لاستعدين عليك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : ما أنا بفاعل فانطلق أبو بكر رضي الله عنه الى النبي صلى الله عليه وسلم وانطلقت أتلوه وذكر الحديث حتى قال : وتبعته وحدى حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثه الحديث كما كان فرفع اليّ رأسه فقال : ياربيعة ما لك والصديق فقلت : يارسول الله كان كذا وكذا فقال لي كلمة كرهتها ، فقال لي : قل كما قلت يكون قصاصا فأبيت ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أجل ! ولكن قل قد غفر الله لك يا أبا بكر ، فقلت : غفر الله لك ياأبا بكر ، قال الحسن : فولى أبو بكر رضى الله عنه وهو يبكي (١) .

قلت : أن علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعرفته لابي بكر جعلته يقول لربيعه أجل ! لا ترد عليه ولكن قل يغفر الله لك يا أبا بكر وهو بذلك قد ازال ما في نفس ربيعة وازال ما في نفس الصديق وسلما كليهما من الاثم .

---

(١) رواه أحمد : ٤/٥٩ .

* **اختصاصاتـــــه :**

- من أهم اختصاصاته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل اليه امامة المسلمين في الصلاة مدة مرض رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقـــال : " مروا أبو بكر فليصل بالناس "[1] .

وهذا من أعظم الأدلة على فضلـه .

- اختصاصه بتقديم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ اياه أميرا على الحج في حياته ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلـم ـ استعمل أبا بكر على الحج ، وهو أول من جمع للناس الحج ، ثـم ان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ حج من قابل "[2] حديث حسن .

وروى ابن هشام في السيرة قال : قال بن اسحاق : ثم أقـــام[3] رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقية شهر رمضان المبارك وشوال وذو القعدة ثم بعث أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ أميرا على الحج من سنة تسع ليقـــيم للمسلمين حجهم ، والناس من أهل الشرك على منازلهم من حجهم ، فخرج أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ ومن معه من المسلمين[4] .

---

(١)
(٢) الرياض النضرة (١/١٦٣) .
(٣) يعني أقام بعدما رجع من غزوة تبوك .
(٤) سيرة بن هشام (٤/٥٤٣) .

أقـــول :

أن تأمير رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأبي بكر في الحج لدليل قاطع على فضله على غيره ، ولعلمه ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأن أبو بكر علـى درجة عالية من العلم ، فهو قد أخبر الناس بمناسكهم وبطريقة حجهـم ، ومُنِعَ بعد هذه السنة حج المشركين الى البيت ، وهذا يعبر عن قـوة المسلمين ، وحرى بأبي بكر أن يكون عالما بمناسك الحج كيف لا ، وهو متلق العلم على صاحبه ـ محمد صلى الله عليه وسلم ـ الذى لا ينطق عـن الهوى ، ان هو الا وحي يوحـى .

ـ واختصاصه بالفتوى بين يدى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ء

عن أبي قتادة قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ " من قتل قتيلا له عليه بينة فله سلبه " ، وكنت قتلت رجلا من المشركين فقمـت فقلت : من يشهد لي ؟ ثم جلست ، فأعادها ، فقمت ، فقلت : مـن يشهد لي ؟ ثم جلست ، فأعادها الثالثة ، فقال رجل : صدق يـا رسول الله ، سلبه عندى فأرضه عنى ، فقال أبو بكر : لا ها اللـه اذن لا أعمد الى أسد من أسد الله يقاتل عن الله ورسوله يعطيك سلبه فقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ صدق فأعطه ، فبعث الدرع فابتعت به مخرفـا في بني سلمة ، فانه لأول مال تأثلته في الاسلام (١) .

قال صاحب الرياض النضرة : واعلم أن بدار أبي بكر بالزجر والـردع والفتوى واليمين على ذلك في حضرة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثـم يصدقه الرسول فيما قال ويحكم بقوله خصوصية شرف لم تكن لأحد من غيره (٢) .

---

(١) رواه البخارى في كتاب المغازى ، باب (٥) ح : ٤٠٦٧ .
(٢) الرياض النضرة (١/١٥٩) .

وكان يفتي في حياة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أربعة عشر من الصحابة : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ، وعبدالرحمن بن عوف ، وابن مسعود ، وعمار بن ياسر ، وأبي بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وحذيفة بن اليمان ، وزيد بن ثابت ، وأبو الدرداء ، وسلمان ، وأبو موسى الأشعرى ، وأما الفتوى بحضرة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلم تكن لأحد سوى أبي بكر .

قلت :

ان كون هؤلاء الصحابة يفتون في زمن حياة النبي لدليل على علمهم الغزير الذى تعلموه في مدرسة محمد المعلم بعلم الله له عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم ولن يفتي أحدا منهم الا بما هو متأكد من صحته ، لأنهم يعلمون أن الفتوى أمرها عظيم ولا ينبرى لها الا كبار العلماء ، وكون أبو بكر يفتي ورسول الله بحضرته لدليل على علمه الغزير الذى تلقاه عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولو أن فتواه لم توافق الصواب لردها الرسول المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأنه لا تأخذه في الله لومة لائم ، لكن لما كانت موافقته للحق أجازها .

ـ ومنها أنه اختص بالحوالة عليه بعد وفاة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ

فعن جبير بن مطعم ان امرأة أتت النبي تسأله شيئا فقال لها : ارجعي الي ، فقالت يا رسول الله فان رجعت ولم أجدك تعرض بالموت فقال الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ " وان لم تجديني فأت أبا بكر "[1] .

هذا واختصاصات أبو بكر كثيرة ، ذكر المحب الطبرى له أكثر من

---

(١) رواه البخارى في كتاب فضائل الصحابة ، بابقول النبي لو كنت متخذ خليلا .

ثلاثين خاصية ، وساق أحاديث في ذلك بعضها صحيح ، وبعضها حسن وبعضها غريب ، والله أعلم .

قلت :

ولا غرابة أن تكون هذه الخصوصيات لأبي بكر - رضي الله عنه - فهي مكافأة له جزاء ما قدم من أعمال جليلة للدعوة ولصاحبها ، ولما كان يكمن في نفسه من الايمان العميق والحب لله ولرسوله ولدعوته .

* وفـاتـه رضـي الله عنـــــه .

قـال أهـل السـير : توفـى أبو بكـر ليلـة الثلاثـاء بـين المغـــرب والعشـاء لثمـان ليـال بقـين من جمـادى الآخـرة سـنة ثلاث عشـــرة من الهجـرة وهـو ابن ثـلاث وسـتين سـنة .

وأوصـى ان تغسّـله اسـماء زوجتـه ففعلـت ، وأن يدفـن الى جنب رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم ، وصـلى عليـه عمر بـين القـبر والمنـبر ، ونـزل في حفـرته أبنـه عبد الرحمن ، وعمر ، وعثمان ، وطلحة بن عبيد الله .(1)

قـلت : ولقـد كان خطب المسلمين جـللاً بفقـد خليفـة رسـول اللـه صلى الله عليه وسلم - ذلك الرجل الذى لم تأخـذه في الله لومـة لائـم ، ولـم يقصـر في عملـه وواجبـه تجـاه تلك الدعـوة المبـاركة حتى اقرّ الله عينـــاه بما فتح على يديـه من البـلاد وانتشـار الاسـلام وعزتـه وعزة المسلمين .

---

(١) صفـة الصـفـوه : ١/٢٧٦ .

يظهر لنا مما سبق :-

ان الصديق -رضي الله عنه- كان من أصول عريقة وأنه كان ممن يشار اليه بالبنان من بين قومه ، وانه ممن يعوّل عليهم ويؤخذ برأيهم حيث رأيناه قد أسندت اليه الحمالة وأنهم يصدقونه في ذلك .

وعرفنا انه كان من تجار قريش وكان من المألوفين في قومه لما يتحلى به من أخلاق عالية ومعاملة صادقة .

ورأينا تلك الصفات التي تجسدت في الصديق تلكم الصفات الحميدة التي جعلته يسمو بين قومه ، وجعلتهم يحرصون على بقائه بينهم .

رأينا تلك الشخصية البارزة التي فرضت نفسها في الجاهلية والاسلام فأفعاله في الجاهلية كلها محمودة ، وذلك أنه كان معتزلا ما اعتكف قومه عليه من عبادة الأصنام وشرب الخمور ونحو ذلك .

وانما كانت افعاله اكرامه للضيف واغاثة الملهوف والاعانة على نوائب الحق واستمر على تلكم الحال حتى بعث الله محمدا -صلى الله عليه وسلم- فلبى دعوته وانتظم في سلكه حتى صار رهن اشارته في كل لحظة وفي كل وقت .

ومما يدل على عظم تلك الشخصية أنه لمّا اسلم فزعت قريش لأنهم يعلمون مكانته وقدرته على التأثير على غيره .

وتبرز شخصية الصديق -رضي الله عنه- ايضا في مواقفه العظيمة التي كانت من أعظم العوامل للقيام بالدعوة .

هكذا كانت شخصية الصديق الداعية العظيم وقد لاحظنا فيها كل مقومات الشخصية فرضي الله عنه وارضاه .

بسم الله الرحمن الرحيم

" الفصـــــل الثـالث "

دوره فـى الـدعـــوة

* من أسلم على يـديه .
* تغانيه فى الدعـــوة .
* عتقـه للارقاء المسلمين .
* ورعـــه وتقـــواه .
* زهـــــده وتواضعـه .
* جهـــاده فى سبيل اللـه .
* مواقفـــه فـى الحـــق .
* خـــــــلافته .
* أعمـــاله وفتوحاته .
* خطبـــه ومواعظـــه .

الفصل الثالث

دوره في الدعوة

وحين أعلن أبو بكر اسلامه ، وشهد أن لا اله الا الله ، وأن محمدا عبدالله ورسوله ، وهو عونا لصاحبه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بكل ما آتاه الله ، فأصبح يدعو أصحابه الى الاسلام والى اتباع محمد - صلى الله عليه وسلم - وأصبح ينفق ماله في سبيل هذه الدعوة المباركة لكي تشق طريقها ، وأسلم على يده كثيرون أعز الله بهم الاسلام فجاهدوا في الله حق جهاده ، فحصلت لهم السعادة ، وانتشلهم الله من الضلال الى الهدى بسبب بركة دعوة أبو بكر لهم .

وأعتق الأرقاء الذين وقعوا تحت تعذيب الكفار فاشتراهم وأعتقهم تقربا الى الله جلا وعلا .

* **الذين أسلموا ببركة دعوته لهم :**

قال محمد بن اسحاق لما أسلم أبو بكر وأظهر اسلامه دعا الى الله عز وجل ، وكان أبو بكر رجلا مألوفا لقومه محبا سهلا ، وكان أنسب قريش لقريش ، وأعلم بما كان فيها من خير وشر ، وكان رجلا تاجرا ذا خلق معروف ، وكان رجال قومه يأتونه لغير واحد من الأمر لعلمه وتجارته ، وحسن مجالسته ، فجعل يدعو الى الاسلام من وثق به من قومه ممن يغشاه ويجلس اليه فأسلم على يديه في بلغني الزبير بن العوام (١) ،

(١) الزبير بن العوام : هو الزبير بن العوام بن خويلد الأسدى ، حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أول من سل سيفا في سبيل الله ، أحد العشرة المبشرة بالجنة ، أمه صفية بنت عبدالمطلب عمة رسول الله - صلى الله عليه وسلم

وعثمان بن عفان (١) ، وطلحة بن عبيد الله (٢) ، وسعد بن أبي وقاص (٣) ،

وعمته خديجة بنت خويلد زوجة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ .
قتل في جمادى الأولى سنة ٣٦ هـ بعد منصرفه من وقعة الجمل
ـ الكاشف (١/٤٩) .

(١) عثمان بن عفان :
هو أمير المؤمنين عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس الأموى ، ثالث الخلفاء الراشدين ، ذى النورين ، أحد السابقين الى الاسلام وأحد العشرة المبشرين بالجنة .
استشهد في ذى الحجة سنة ٣٥ هـ ، وكانت خلافته اثنتي عشرة سنة
ـ تقريب التهذيب (٢/١٢) .

(٢) طلحة بن عبيدالله :
هو طلحة بن عبيدالله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم القرشي التميمي أحد العشرة المبشرين بالجنة ، من السابقين الى الاسلام ، ويعرف بطلحة الخير وطلحة الفياض .
استشهد يوم الجمل سنة ٣٦ هـ .
ـ أسد الغابة (١/٤٦٧) ، تقريب التهذيب (١/٣٧٩) .

(٣) سعد بن أبي وقاص :
هو سعد بن مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة الزهرى ، أحد المبشرين بالجنة ، أول من رمى في سبيل الله .
توفى سنة ٥٥ هـ .
ـ خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ص : ١٣٥ ، تقريب التهذيب (١/٢٩٠) .

وعبدالرحمن بن عوف[1] فانطلقوا الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومعهم أبو بكر فعرض عليهم الاسلام ، وقرأ عليهم القرآن وأنبأهم بحسن الاسلام فآمنوا ، وكان هؤلاء النفر الثمانية[2] الذين سبقوا في الاسلام ، صدقوا رسول الله وآمنوا بما جاء من عند الله[3] .

قلت :

ان اسلام هؤلاء النفر كان فتحا جديدا فباسلامهم خطت الدعوة خطوات مباركة وظهرت وبرزت ، لأن كل واحد منهم كان عضوا قويا لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في كل الأمور سواء كان في أمر القتال أو أمر البذل والانفاق ، فكان كل واحد منهم لا يدخر وسعا مما يقدر عليه .

ثم أسلم ببركة دعاء أبي بكر الصديق : أبو عبيدة بن الجراح[4] ،

---

(١) عبدالرحمن بن عوف :
هو عبدالرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة ، ابن كلاب بن مهرة القرشي الزهرى ، أحد الثمانية الذين سبقوا الى الاسلام ، وأحد العشرة المبشرون بالجنة .
توفى سنة ٣٢ هـ ، وقيل غير ذلك .
ـ أسد الغابة (٣/٣٧٦-٣٨١) ، التقريب (١/٤٩٤) .

(٢) يعني علي بن أبي طالب وزيد بن حارثة وأبو بكر ومن أسلم على يد أبي بكر .

(٣) البداية والنهاية لابن كثير (٣/٢٨) دار الكتب العلمية بيروت لبنان .

(٤) أبو عبيدة بن الجراح :
هو أبو عبيدة عامر بن عبدالله بن الجراح الفهرى القرشي ، أمين هذه

وأبو سلمة (١) ، والأرقم بن أبي الأرقم (٢) ، وعثمان بن مضعون (٣) ، وعبيدة بن

الأمة ، أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأحد السابقين الى الاسلام توفى شهيدا بطاعون عمواس سنة ١٨ هـ .

- تقريب التهذيب (١/٣٨٨) .

(١) أبو سلمة :

هو أبو سلمة بن عبدالأسد هلال بن عبدالله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي ، أمه سمرة بنت عبدالمطلب عمة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من السابقين الى الاسلام ، هاجر الى الحبشة هو وزوجه أم سلمة ، ثم هاجر الى المدينة .

توفى سنة ٣ هـ .

- أسد الغابة (٥/١٥٢) .

(٢) الأرقم بن أبي الأرقم :

هو الأرقم بن أبي الأرقم واسم أبي الأرقم عبد مناف بن أسد بن عبدالله ابن عمر من مخزوم القرشي المخزومي ، أحد السابقين الى الاسلام .

توفى سنة ٥٣ هـ وقيل سنة ٥٥ هـ .

- أسد الغابة (١/٧٤-٧٥) .

(٣) عثمان بن مظعون :

هو عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة الجمحي ، أحد السابقين الى الاسلام ، وهاجر الى الحبشة ، ثم الى المدينة ، وهو أول من توفى بها من المهاجرين وأول من دفن بالبقيع منهم وكانت وفاته بعد شهوده بدر في السنة الثانية من الهجرة .

- أسد الغابة (٣/٤٩٤-٤٩٧) .

الحارث بن المطلب (١) ، وسعيد بن زيد (٢) ، وامرأته فاطمة بنت الخطاب (٣) ، وأسماء بنت أبي بكر (٤) ، وعائشة بنت أبي بكر وهي

---

(١) عبيدة بن الحارث بن المطلب :

هو عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف بن قصي القرشي يكنى أبا الحارث ، كان أسن من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعشر سنين ، أسلم قديما هو وأبو سلمة بن عبد الأسدى ، وهاجر الى المدينة ، له منزلة كبيرة عند رسول الله .

توفى في مرجع النبي - صلى الله عليه وسلم - بالصفراء وكان عمره ٦٣ سنة

- أسد الغابة (٣/٤٤٩) .

(٢) سعيد بن زيد :

هو سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن نفيل العدوى ، أحد العشرة المبشرين بالجنة ، من السابقين الى الاسلام ، كان اسلام عمر بن الخطاب عنده في بيته لأنه كان زوج أخت عمر - رضي الله عنهما - .

توفى سنة ٥٠ هـ وقيل سنة ٥١ هـ .

- تهذيب التهذيب (٤/٣٤-٣٥) .

(٣) فاطمة بنت الخطاب :

هي فاطمة بنت الخطاب بن نفيل بن عبدالعزى القرشية العدوية أخت عمر بن الخطاب وزوجة سعيد بن زيد ، من السابقين الى الاسلام وكانت هي سبب اسلام أخيها عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - .

- أسد الغابة (٦/٢٢٠) .

(٤) عائشة بنت أبي بكر :

هي عائشة بنت أبي بكر الصديق أم المؤمنين - رضي الله عنها - أفقه النساء مطلقا ، تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي بنت ست ، وبنى بها وهي بنت تسع بالمدينة . توفيت سنة ٥٧ هـ وقيل ٥٨ هـ .

- التقريب (٢/٦٠٦) ، الكاشف (٣/٤٣٠) .

يومئذ صغيرة ، وخباب بن الأرت[1] ، حليف بني زهرة ، وعمير بن أبي وقاص[2] ، وعبد الله بن مسعود[3] ، ومسعود بن القاري[4] ،

---

(١) خباب بن الأرت :

هو خباب بن الأرت بن جندلة بن سعد بن خزيمة التميمي ، مولى بني زهرة ، وهو عربي لحقه سباء في الجاهلية ، وهو من السابقين الى الاسلام ، كان سادس ستة في الاسلام ، نزل الكوفة ومات بها سنة ٣٧ هـ .

- أسد الغابة (٤/٥٩١-٥٩٤) .

(٢) عمير بن أبي وقاص :

هو عمير بن أبي وقاص بن أهيب بن عبدمناف بن زهرة بن كلاب القرشي الزهرى ، أخو سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنهما - من السابقين الى الاسلام ، استصغره النبي - صلى الله عليه وسلم - لما أراد المير الى بدر ، فبكى فأجازه النبي - صلى الله عليه وسلم - وكان سيفه طويلا فعقد عليه حمائل سيفه ، فشهد بدرا ، واستشهد بها وكان عمره حين استشهد ست عشرة سنة .

- الاصابة (٧/١٦٨) .

(٣) عبدالله بن مسعود :

هو عبدالله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي حليف بني زهرة أحد السابقين الى الاسلام ، ومن كبار علماء الصحابة .

توفى بالمدينة سنة ٣٢ هـ .

- التقريب (١/٤٥٠) ، الكاشف (٢/١١٦) .

(٤) مسعود القارى :

هو مسعود بن عمرو القارى ، قديم الاسلام ، استعمله رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على المغانم يوم حنين ، فأمره أن يحبس السبايا والأموال بالجعرانة .

- أسد الغابة (٣/٣٨٨) .

وأسلم كذلك على يد أبي بكر عمير بن أبي وقاص ، وسليط بن عمرو (١) ، وأخوه حاطب بن عمرو (٢) ، وعياش بن أبي ربيعة (٣) ،

---

(١) سليط بن عمرو :

هو سليط بن عمرو بن عبدشمس بن عبدود بن نضر بن مالك بن حسل العامرى ، من المهاجرين الى الحبشة ، أرسله الرسول - صلى الله عليه وسلم - الى هوذة بن علي الحنفي ، والى ثمامة بن أثال الحنفي وهما رئيسا اليمامة .

قتل باليمامة سنة ١٢ هـ .

- الاصابة (٣٤/٥) .

(٢) أخوه حاطب بن عمرو :

هو حاطب بن عمرو بن عبدشمس بن عبدود بن نضر بن مالك العامرى من السابقين الى الاسلام ، هاجر الهجرتين الى الحبشة ، وقيل انه أول من هاجر الى الحبشة ، وشهد بدرا مع النبي - صلى الله عليه وسلم - .

- أسد الغابة (٤٣٤/٤) .

(٣) عياش بن أبي ربيعة :

هو عياش بن عمرو بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم ، يكنى أبا عبدالرحمن ، وقيل أبو عبدالله ، وهو أخو أبي جهل لأمه ، أسلم قديما وهاجر الى الحبشة ، ثم عاد الى مكة وهاجر الى المدينة هو وعمر بن الخطاب ، (أخوه لأمه أبو جهل) فاحتال عليه حتى رجع معه الى مكه ، فأوثقه وحبسه ، وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يدعو له .

- انظر : أسد الغابة (٢٠/٤) ، والاصابة (١٨٤/٧) ، والاستيعاب (٦٧/٩) .

وامرأته أسماء بنت سلامة (١) ، وخنيس بن حذافة (٢) ، وعامر بن ربيعة (٣) ،

---

(١) أسماء بنت سلامة :

هي أسماء بنت سلامة ، ويقال سلمة - بن مخرمة بن جندل بن دارم الدارمية التميمية ، هاجرت مع زوجها عياش بن أبي ربيعة الى الحبشة ، روت عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وروى عنها ابنها عبدالله .

- الاصابة (١٢/١١٢) .

(٢) خنيس بن حذافة :

هو خنيس بن حذافة بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم القرشي السهمي ، وهو أخو عبدالله بن حذافة ، كان من السابقين الى الاسلام ، وهاجر الى أرض الحبشة ، وعاد الى المدينة ، فشهد بدرا وأحدا ، وأصابه بأحد جراحة فمات منها ، وكان زوج أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب قبل النبي - صلى الله عليه وسلم - .

- انظر : أسد الغابة (١/٦٢٤) ، والاصابة (٣/١٥٧) ، والاستيعاب (٣/٢٠٤) .

(٣) عامر بن ربيعة :

هو عامر بن ربيعة بن كعب بن مالك بن ربيعة العنزى ، أبو عبدالله حليف بني عدى ، كان أحد السابقين الأولين ، وهاجر الى الحبشة ومعه امرأته ليلى بنت أبي خيثمة ، ثم هاجر الى المدينة وشهد بدرا وما بعدها ، استخلفه عثمان على المدينة لما حج . مات بعد قتل عثمان بأيام - رضي الله عنه وأرضاه - .

- انظر : الاصابة (٥/٢٧٧) ، والاستيعاب (٥/٢٨٧) .

وعبد الله بن جحش بن رياب (١) ، وجعفر بن أبي طالب (٢) ، وامرأته أسماء بنت عميس (٣)

---

(١) عبدالله بن جحش بن رياب :
هو عبدالله بن جحش بن رياب بن يعمر الأسدى ، أحد السابقين هاجر الى الحبشة وشهد بدرا ، آخى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بينه وبين عاصم بن صادق .
وعن سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ قال : بعثنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في سرية فقال لأبعثن عليكم رجلا أصبركم على الجوع والعطش فبعث الينا عبدالله بن جحش ، فكان أول أمير في الاسلام .
استشهد يوم أحد ، فدفن هو وحمزة في قبر واحد .
ـ انظر : الاصابة (٣٤/٦) والاستيعاب (١٢٦/١) .

(٢) جعفر بن أبي طالب :
هو جعفر بن أبي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف أبو عبدالله ابن عم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأحد السابقين الى الاسلام ، آخى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بينه وبين معاذ بن جبل استشهد في مؤته مقبلا غير مدبر مجاهدا للروم في حياة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ سنة ثمان من الهجرة .
ـ الاصابة (٨٥/٢) والاستيعاب (١٤٩/٢) .

(٣) أسماء بنت عميس :
هي أسماء بنت عميس بن معد بن الحارث بن تيم الخثعمية ، أسلمت قبل دخول دار الأرقم ، وبايعت ثم هاجرت مع جعفر زوجها الى الحبشة فولدت له هناك عبدالله ومحمد وعوفا ، ثم تزوجها أبو بكر بعد مقتل جعفر ، فولدت له محمد ثم تزوجها علي .
روت عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وروى عنها ابنها عبدالله بن جعفر ،
ـ انظر : الاصابة (١١٦/١٢) ، والاستيعاب (٢٠١/١٢) .

وحاطب بن الحارث بن معمر وامرأته فاطمة (١) ، وأخوه حطاب بن الحارث (٢) (٣) وامرأته فكيهة بنت يسار (٤) .

(١) حاطب بن الحارث بن معمر :

هو حاطب بن الحارث بن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة ابن جمح القرشي الجمحي ، مات بأرض الحبشة وكان قد خرج اليها مع امرأته فاطمة بنت المجلل بن عبدالله بن أبي قيس وولدت له هناك ابنيه محمد والحارث .

- انظر : الاستيعاب (٢/٢٨٠) ، والاصابة (٢/١٩٤) .

(٢) فاطمة امرأة حاطب بن الحارث بن معمر :

هي فاطمة بنت المجلل بن عبدالله بن أبي قيس القرشية العامرية تكنى أم جميل .

هاجرت الى الحبشة مع زوجها حاطب بن الحارث ، فتوفى هناك وقدمت المدينة هي وابناها مع أهل السفينتين .

- انظر : الاصابة (٣/٨٦) ، وأسد الغابة (٦/٢٣٠) .

(٣) حطاب بن الحارث بن معمر :

هو حطاب بن الحارث بن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة الجمحي ، أمه وأم أخيه حاطب سخيلة بنت العنبس .

هاجر الى الحبشة مع أخيه حاطب ، وهاجرت معه امرأته فكيهة بنت يسار ومات حطاب في الطريق الى أرض الحبشة ، وقيل مات في منصرفه من الحبشة .

- انظر : أسد الغابة (١/٥٠٩) .

(٤) فكيهة بنت يسار :

هي فكيهة بنت يسار امرأة حطاب بن الحارث الجمحي ، أسلمت قديما بمكة ، وبايعت وهاجرت الهجرتين .

- انظر : الاصابة (١٣/٩٢) ، وأسد الغابة (٦/٢٣٨) .

ومعمر بن الحارث بن معمر (١) ، والسائب بن عثمان بن مضعون (٢) ، والمطلب ابن أزهر (٣)

---

(١) معمر بن الحارث بن معمر :

هو معمر بن الحارث بن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح أخو حاطب وحطاب ، أمهم قتيلة بنت مظعون أخت عثمان بن مظعون .

أسلم معمر قبل دخول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ دار الأرقم وهاجر الى المدينة ، وآخى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بينه وبين معاذ بن عفراء ، وشهد بدرا وأحدا ، والمشاهد كلها مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ توفي في خلافة عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنهما ـ .

ـ أنظر : أسد الغابة (٤/٤٥٨) .

(٢) السائب بن عثمان بن مظعون :

هو السائب بن عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح ، أسلم في أول الاسلام وهاجر الى الحبشة ، وشهد بدرا والمشاهد ، استعمله النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في غزوة بواط ، جرح في موقعة اليمامة فمات من ذلك السهم وهو ابن بضع وثلاثين سنة .

ـ انظر : الاصابة (٤/١١٤) ، والاستيعاب (٤/١١٤) .

(٣) المطلب بن أزهر :

هو مطلب بن أزهر بن عبدعوف بن الحارث بن زهرة القرشي بن عم عبدالرحمن بن عوف ـ رضي الله عنهما ـ من السابقين الى الاسلام ومن مهاجرى الحبشة ، هاجرت معه زوجته رملة بنت أبي عوف السهمية فولدت له بالحبشة ابنه عبدالله ، وتوفي هناك ـ رضي الله عنه ـ .

ـ انظر : أسد الغابة (٤/٤١٣) .

وامرأته رملة بنت أبي عوف (١) ، والنحام واسمه نعيم بن عبدالله بن أسيد (٢) ، وكذلك عامر بن فهيرة (٣) ،

---

(١) رملة بنت أبي عوف :
هي رملة بنت أبي عوف بن ضبيرة بن سعيد بن سعد بن سهم هلك زوجها المطلب بن أزهر بن زهرة بأرض الحبشة ، اذا كانا قد هاجرا الى الحبشة ، وولدت له هناك عبدالله بن المطلب ، فكان يقال : انه أول رجل ورث أباه في الاسلام .
- انظر : أسد الغابة (٦/١١٨) .

(٢) نعيم بن عبدالله بن أسير :
هو نعيم بن عبدالله بن أسيد بن عبدعوف القرشي العدوى المعروف بالنحام ، قيل له ذلك لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال له : " دخلت الجنة فسمعت نحمة من نعيم " .
كان اسلامه قبل عمر ، لكنه لم يهاجر الا قبيل قبيل مكة ، وذلك لأنه كان ينفق على أرامل بني عدى وأيتامهم .
- انظر : الاصابة (١٠/١٧٤) ، والاستيعاب (١٠/٣٢٤) .

(٣) عامر بن فهيرة :
هو أبو عمرو عامر بن فهيرة التيمي ، مولى أبي بكر الصديق ، كان مولدا من مولدى الأزد ، وكان من السابقين الى الاسلام ، أسلم قبل أن يدخل الرسول - صلى الله عليه وسلم - دار الأرقم ، وكان مملوكا وحين اسلامه ، فعذب في الله ، فاشتراه أبو بكر فأعتقه ، ولما سار الرسول - صلى الله عليه وسلم وأبو بكر من الغار هاجر معهما ، فأردفه أبو كبر خلفه . شهد بدرا وأحدا ، وقتل يوم بئر معونة سنة أربع من الهجرة ، - رضي الله عنه وأرضاه - .
- انظر : أسد الغابة (٣/٣٢) ، والاصابة (٥/٢٩٣) ، والاستيعاب (٥/٢٩٩) .

وخالد بن سعيد بن العاص (١) ، وامرأته أمينة (٢) ، وحاطب بن عمرو بن عبد شمس (٣)،

---

(١) خالد بن سعيد بن العاص :

هو خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس الأموى أبو سعيد ، أسلم قديما وهاجر الى الحبشة ، ثم قدم على النبي - صلى الله عليه وسلم - بخيبر ، ثم رجع مع الرسول - صلى الله عليه وسلم - الى المدينة وأقام بها ، وشهد عمرة القضاء وفتح مكة وحنينا والطائف وتبوك وبعثه الرسول - صلى الله عليه وسلم - على صدقات اليمن ، فتوفى - صلى الله عليه وسلم - وهو باليمن .

- الاصابة (٣/٥٨) ، والاستيعاب (٣/١٥٣) .

(٢) أمينة بنت خلف :

هي أمينة بنت خلف بن أسعد بن عامر بن بياضة الخزاعية ، عمة طلحة بن عبيدالله المعروف بطلحة الطلحات .

ذكرها ابن اسحاق فيمن هاجر الى الحبشة من المسلمين مع زوجها خالد بن سعيد بن العاص فولدت له هناك سعيدا وأم خالد .

- انظر : الاصابة (١٢/١٤٢) .

(٣) حاطب بن عمرو بن عبد شمس :

هو حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبدود بن نصر بن مالك بن لؤى أخو سهيل بن عمرو .

أسلم قبل دخول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - دار الأرقم وهاجر الى أرض الحبشة ، قيل انه أول من هاجر اليها ، شهد بدرا مع الرسول - صلى الله عليه وسلم - .

- انظر : أسد الغابة (١/٤٣٤) .

وأبو حذيفة واسمه مهشّم (١) ، وواقد بن عبدالله .

وكذلك أسلم على يدى أبو بكر الصديق : خالد بن البكير (٢) وأخوه عامر (٣)

---

(١) أبو حذيفة واسمه مهشم :

هو أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي ، خال معاوية ، اسمه مهشم ، وقيل هاشم وقيل قيس .

كان من السابقين الى الاسلام وهاجر الهجرتين وصلى الى القبلتين وشهد بدرا .

كان رضي الله عنه طوالا حسن الوجه ، استشهد يوم اليمامة ، وهو ابن ست وخمسين سنة .

- انظر : الاصابة (٨١/١١) .

(٢) خالد بن البكير :

هو خالد بن البكير بن عبديا ليل بن ناشب الليثي الكناني ، وهو أخو عاقل واياس وعامر بني البكير .

شهد خالد واخوته بدرا ، وبعثه الرسول - صلى الله عليه وسلم - مع عبدالله بن جحش الى عير قريش قبل بدر في رهط من المهاجرين .

قتل خالد يوم الرجيع في صفر سنة أربع من الهجرة .

- انظر : أسد الغابة (٥٦٨/١) .

(٣) عامر بن البكير :

هو عامر بن البكير الليثي ، شهد هو واخوته بدرا وما بعدها من المشاهد ، وأسلموا في دار الأرقم ، وهم حلفاء بني عدى بن كعب .

قتل عامر بن البكير يوم اليمامة - رضي الله عنه - .

- انظر : الاستيعاب (٢٨٤/٥) .

وعاقـــل واياس بنـــو البكـــير (١) ، وكذلـــك عمار بن ياســـــــــــــر (٢) ، (٣)

---

(١) عاقل بن البكـير :

هو عاقل بن البكير بن عبديا ليل بن ناشب بن نميره الليثي حليـف بني عدى .

كان من السابقين الأولين وشهد بدرا هو واخوته ، واستشهد يـوم بـدر .

كان اسمه (غافل) بالغين المعجمة والفاء ، فسماه الرسـول ـ صلى الله عليه وسلم ـ عاقل بالعين المهملة والقاف ، قيل : أنه أول من بايع النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في دار الأرقم .

ـ انظر : الاصابة (٢٧٣/٥) .

(٢) اياس بن البكـــير :

هو اياس بن البكير بن عبديا ليل بن ناشب بن نميره الليثي .

شهد بدرا وأحدا والخندق والمشاهد كلها مع الرسول ـ صلى اللـه عليه وسلم ـ وكان من السابقين الى الاسلام ، توفى سنة ٣٤ هـ .

ـ انظر : أسد الغابة (١٨١/١) .

(٣) عمار بن ياســـــر :

هو عمار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس العنســـي أبو اليقظان ، حليف بني مخزوم ، وأمه سمية مولاة لهم ، كان مـن السابقين الأولين هو وأبوه ، وكانوا ممن يعذبون في الله ، فكـان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يمر عليهم فيقول : " صبرا آل ياسـر ان موعدكم الجنة " .

هاجر الى المدينة وشهد المشاهد كلها وشهد اليمامة ، توفـى سنة ٣٧ هـ في موقعة صفين .

ـ انظر : الاصابة (٦٤/٧) ، والاستيعاب (٢٢٤/٨) .

وصهيب بن سنان وغيرهم (١) (٢) .

أقول :

وهذا عدد لا يستهان به وتقدم نحو الظهور والغلبة للمسلمين على أعداء الله من كفار قريش ، ولولا أنهم يثقون من أبي بكر ويعلمون نصحه وصدقه ، ورجاحة عقله وبعد نظره لما انصاعوا اليه كما ترى ، ولكنه - رضي الله عنه - كان عنده من الأساليب ما يجعل كلامه يلج الى القلوب ويؤثر فيها ، كيف لا وهو تلميذا لمعلمه الأكبر محمد بن عبدالله عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم ، ولا يخفى على كل من درس سيرة هؤلاء الصحابة السابقين الى الاسلام ما بذلوا من تضحية وما قدموه من أجل دفع عجلة الدعوة الى الأمام فضحوا بأنفسهم وبأموالهم وبفراق الأحبة

---

(١) صهيب بن سنان :

هو صهيب بن سنان بن مالك بن عمرو بن عقيل بن عامر الربعي النميرى ، كنيته (أبو يحيي) كناه بها الرسول - صلى الله عليه وسلم - وقيل له الرومي ، لأن الروم سبوه صغيرا .

هاجر الى المدينة ، ولما أراد المشركون منعه طلب منهم أن يدلهم على ماله ويخلو سبيله ، فنزل فيه قوله تعالى : ((ومن الناس من يشترى نفسه ابتغاء مرضات الله)) .

شهد بدرا وأحدا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - توفى سنة ٣٨ هـ بالمدينة .

- أسد الغابة (٢/٤١٨-٤٢١) .

(٢) سيرة ابن هشام (١/٢٥٢-٢٦٢) بتصرف ط ١ مؤسسة علوم القرآن .

ومجانبتهم ، كل ذلك حبا لدينهم ولرسولهم - محمد صلى الله عليه وسلم - حتى أظهر الله الدين على كره من المشركين فكانوا مستضعفين وبعـــــد مدة قليلة جاءوا فاتحين ، ان هذا لنصر مبين .

نعم ... رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، أنجزوا له وعـــــده ، فأنجز لهم وعدهم ، اللهم اجعلنا نقتبس من مسيرتهم ونسير على منهجهم وطريقهم لكي نعود كما كنا وما ذلك على الله بعزيز .

* تفانيـــــه في الدعـــوة :

أخلص أبو بكر الصديق اسلامه ونقاه من كل شائبة فأصبح لا يهمـــه ما يعترضه من مشكلات ، فاستسهل الصعب ، وصبر على الأذى ، وأصبـــح حب الدعوة وصاحبها عليه الصلاة والسلام يجرى في عروقه ودمه ، فأظهـــر الحق وأزهق الباطل .

أخرج بن كثير عن عائشة قالت : لما اجتمع أصحاب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكانوا ثمانية وثلاثون رجـــلا ، ألح أبو بكر على رسول اللـــه ـ صلى الله عليه وسلم ـ في الظهور، فقال : " يا أبا بكر انا قليل " فلـــم يزل أبو بكر يلح حتى ظهر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه ، وتفرق المسلمون في نواحي المسجد كل رجل في عشيرته ، وقام أبو بكر في الناس خطيبا ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ جالس ، فكان أول خطيب دعا الى الله والى رسولـه ـ صلى الله عليه وسلم ـ وثار المشركون على أبي بكر ، فضربوا في نواحي المسجد ضربا شديدا ، ووطيء أبو بكر وضرب ضربا شديدا ، ودنا منه الفاســـق عتبة بن ربيعة (١) ، فجعل يضربه بنعلين مخصوفتين ، ويصيب وجهه ونـــزا على بطن أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ حتى ما يعرف وجهه من أنفه ، وجـــاء بنو تيم يتعادون ، فأجلت المشركين عن أبي بكر ، وحملت بنو تيم أبا بكـــر في ثوب حتى أدخلوه منزله ولا يشكون في موته ، ثم رجعت بنو تيم فدخلوا المسجد وقالوا والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة بن ربيعة ، فرجعوا الى أبي بكر ، فجعل أبو قحافة وبنو تيم يكلمون أبا بكر حتى أجاب ، فتكلـــم آخر النهار ، فقال ما فعل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فسـوا منهـــم

---

(١) مخصوفتين : أى مصنوعتين من خوص .

بألسنتهم وعذلوه ، ثم قاموا وقالوا لأمه أم الخير : أنظرى أن تطعميه شيئا أو تسقيه اياه ، فلما خلت به ألحّت عليه وجعل يقول ما فعل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقالت والله ما لي علم بصاحبك ، فقال : اذهبي الىأم جميل بنت الخطاب فاسأليها عنه ، فخرجت حتى جاءت أم جميل فقالت : ان أبا بكر يسأل عن محمد بن عبدالله ، فقالت ما أعرف أبا بكر ولا محمد بن عبدالله ، وان كنت تحبين أن أذهب معك الى ابنك ، قالت : نعم ، فمضت معها حتى وجدت أبا بكر صريعا دنفا (١) ، فدنت أم جميل وأعلنت بالصياح وقالت ، والله ان قوما نالوا هذا منك لأهل فسق وكفر ، وأني لأرجو أن ينتقم الله لك منهم .

قال : فما فعل رسول الله ؟ ، قالت : هذه أمك تسمع ، قال : فلا شيء عليك منها ، قالت : سالم صالح ، قال : أين هو ؟ قالت : في دار ابن الأرقم ، قال : فان لله على أن لا أذوق طعاما ولا أشرب شرابا حتى آتي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فامتهلتا حتى اذا هدأت الرجل ، وسكن الناس ، خرجتا به يتكيء عليهما حتى أدخلتاه على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، قال : فأكب عليه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقبله ، وأكب عليه المسلمون ، ورق له صلى الله عليه وسلم رقة شديدة ، فقال أبو بكر بأبي وأمي يا رسول الله ليس بي الا ما نال الفاسق من وجهي ، وهذه أمي برة بوالديها ، وأنت مبارك فادعها الى الله وادع الله لها عسى الله أن يستنقذها بك من النار ، قال : فدعا لها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ودعاها الى الله فأسلمت وأقاموا

---

(١) دنفا : أى متعبا .

مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في الدار شهرا ، وهم تسعة وثلاثون رجلا (١) .

مما سبق يتضح لنا ما كان عليه أبو بكر من تفان في الدعوة وعدم اكتراث بالصبية من الأذى في سبيلها ، وهل العظيم محبته لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وما يدعو اليه فها هو آل على نفسه أن لا يذوق طعام ولا يشرب شراب حتى أتى الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويطمئن عليه ، هذا مع أنه متعب ودنف مما لقيه من أعداء الله ، ثم انه في هذا الموقف الذى هو فيه منشغل بنفسه لم يتخلف عن الدعوة الى الله وهو على هذه الحالة ، فها هو يقول لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ادع الله لأمي لعل الله أن يستنقذها بك من النار ، فدعا الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأسلمت ، وذلك ببركة ولدها ، فهو قد تبارك عليها وعلى أبيه وعلى أولاده وعلى جميع أسرته ، أصبحت هذه الدعوة همة لا يشاركها شيء فترك الدنيا جانبا وأقبل على الله وعلى الدعوة اليه ، فنصر الله به الاسلام وقت حياة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبعدها أنقذ الله به الأمة بعد موت الحبيب المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فكان خير خلف لخير سلف ، فحارب المرتدين وفتح الفتوح حتى انتشرت الدعوة الاسلامية المباركة في أكثر أقطار المعمورة .

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٣/٣٠) .

* بذله في سبيل اللـــــه :

كان رضي الله عنه ينفق بكلتا يديه في سبيل الدعوة الى اللـــه ، فلقـــد جمع الله له المكارم كلها ، جاهد بلسانه ، وجاهد بسيفـــه ، وجاهد بماله ، وجاهد بنفسه ، بذل بذلا سخيا - رضي الله عنه - بـذل من لم يستحوذ حب المال على قلبه ، وانما غلب حب الله وحب رسولـه على ذلك ، فأصبح لا يحسب ولا يعد ، كم أنفق ، وكم سينفـــق ؟ فأعتق الأرقاء ، وبذل في الهجرة كل ما استطاع بذله ، فرضي اللـــه عنه وأرضاه .

عن عروة قال : أسلم أبو بكر وله أربعون ألفا أنفقها كلها علـــى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وفي سبيل الله .

وعن أسماء بنت أبي بكر قالت : لما خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وخرج أبو بكر معه احتمل أبو بكر ماله كله معه خمسة آلاف درهم ، أو ستة ، خرج بها معه ، قالت : فدخل علينا جدى أبو قحافة وقـــد ذهب بصره ، وقال : والله اني لأراه قد فجعكم بنفسه وماله ، قالـت : كلا يا أبت ، انه قد ترك لنا خيرا كثيرا ، قالت : فأخذت أحجـــارا فجعلتها في كوة البيت الذى كان أبي يضع ماله فيه ، ثم وضعت عليهـــا ثوبا ثم أخذت بيده وقلت : يا أبت ضع يدك على هذا المال ، فوضع يـده عليه ، قال : لا بأس اذ قد ترك لكم هذا ، فقد أحسن ، وفي هـــذا بلاغ لكم ، ولا والله ، ما ترك لنا شيء ولكني أردت أن يسكن الشيخ .(١)

---

(١) الرياض النضرة (١ / ١٣٢-١٣٣) .

أقـــــول :

ان ترك أبو بكر أولاده بدون مال عندهم دليل قاطع على عظـــيم ثقته في الله ، وأن الله سيعوضهم وسيرزقهم ، والله لا يضيع أجر مـــن أحسن عمـــلا .

* **اعتاقـــه للأرقاء المسلمين :**

وهم الذين سبقوا الى الاسلام ، ولا عشائر تمنعهم ولا قوة لهـــم يمتنعون بها ، فأما من كانت له عشيرة تمنعه فلم يصل الكفار اليه ، فلمـا رأوا امتناع من له عشيرة وثبت كل قبيلة على من فيها من مستضعفـــــي المسلمين ، فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش والرمضـاء والنار ليفتنونهم عن دينهم ، فمنهم من يفتتن من شدة البلاء ، وقلبـــه مطمئن بالايمان ، ومنهم من تصلب في دينه ويعصمه الله منهم .

فمنهم بلال بن رباح الحبشي مولى أبي بكر ، وكان أبوه من ســـبي الحبشة ، وأمه حمامه سبية أيضا ، وهو من مولدى السراة ، وكنيته أبـــو عبدالله ، فصار بلال لأمية بن خلف الجمحي ، فكان اذا حميت الشمـــس وقت الظهيرة يلقيه في الرمضان على وجهه وظهره ، ثم يأمر بالصخـــرة العظيمة فتلقى على صدره ويقول : لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفـــر بمحمد ، وتعبد اللات والعزى ، فكان ورقة بن نوفل يمر به وهو يعـــذب وهو يقول أحد .. أحد .. فيقول : أحد أحد .. والله يا بلال ، ثـــم يقول لأمية بن خلف الجمحي : أحلـــف بالله لئـــن

قتلتموه لاتخذنه حنانا (١) ، فرآه أبو بكر يعذب ، فقال لأمية بن خلف الجمحي : ألا تتقي الله في هذا المسكين ؟ ، فقال : أنت أفسدته فأبعدته ، فقال : عندى غلام على دينك أسود أجلد من هذا أعطيكه به ، قال : قبلت ، فأعطاه أبو بكر غلامه ، وأخذ بلالا ، فهاجر ، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

ومن الأرقاء الذين أعتقهم أبو بكر عامر بن فهيرة ، وكان ممن أسلم قديما ، وكان من المستضعفين يعذب في الله ، فلم يرجع عن دينه ، واشتراه أبو بكر فأعتقه ، وكان يرعى غنما له ، وكان يروح بغنم أبي بكر الى النبي - صلى الله عليه وسلم - والى أبي بكر لما كانا في الغار .

ومن أعتقهم أبو بكر أبو فكيهة (٢) ، واسمه أفلح ، وقيل : يسار ، وكان عبدا لصفوان بن أمية بن خلف الجمحي ، أسلم مع بلال ، فأخذه أمية ابن خلف وربط في رجله خيلا ، وأمر به فجر ، ثم ألقاه في الرمضاء فقال له أمية : أليس هذا ربك ؟ فقال : الله ربي وربك ورب هذا ... فخنقه خنقا شديدا ومعه أخوه أبي بن خلف يقول : زده عذابا حتى يأتي محمد فيخلصه بسحره ، ولم يزل على تلك الحال حتى ظنوا أنه قد مات ، ثم أفاق ، فمر به أبو بكر ، فاشتراه فأعتقه .

---

(١) قال صاحب النهاية الحنان : الرحمة والعطف والحنان الرزق والبركة أراد لأجعلن قبره موضع حنان أى مظنة رحمة الله فأتمسح به تبركا كما يتمسح بقبور الصالحين الذين قتلوا في سبيل الله من الأمم الماضية - النهاية في غريب الحديث (١ / ٤٢٥) في حرف الحاء مع النون .

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير (٢ / ٤٥-٤٧) بتصرف .

ومنهم لبينة جارية بني مؤمل بن حبيب بن عدى بن كعب ، أسلمت قبل اسلام عمر بن الخطاب ، وكان عمر يعذبها حتى تفتن ، ثم يدعها ويقول : اني لم أدعك الا سآمة ، فتقول : كذلك يفعل الله بك ان لم تسلم ، فاشتراها أبو بكر فأعتقها .

ومنهم : زنيره ، وكانت لبني عدى ، وكان عمر يعذبها ، وقيل كانت لبني مخزوم ، وكان أبو جهل يعذبها حتى عميت ، فقال لها : ان اللات والعزى فعلت ذلك ، فقالت : وما يدرى اللات والعزى من يعبدهما ، ولكن هذا أمر من السماء ، وربي قادر على رد بصرى ، فأصبحت من الغد وقد رد بصرها ، فقالت قريش : هذا من سحر محمد ، فاشتراها أبو بكر فأعتقها .

ومنهم : النهدية ، مولاة لبني نهد ، فصارت لامرأة من بني عبد الدار فأسلمت ، وكانت تعذبها ، فتقول : والله لا أقلعت عنك أو يبتاعك بعض أصحاب محمد ، فابتاعها أبو بكر فأعتقها .

ومنهم : أم عبيس ، وهي أمة لبني زهرة ، فكان الأسود بن عبد يغوث يعذبها ، فابتاعها أبو بكر فأعتقها .

قلت :

رحم الله أبا بكر ، فكم انتشل من نفس وقعت تحت وطأة العذاب الأليم ، الذى قد يؤول بها الى الرجوع الى دين الكفار ، ان هذا يعتبر من صنيع أبي بكر ، وأفعاله الجميلة التي لا تنسى ، والتي هي له مدخرة له يوم الجزاء ، يوم القيامة ، يوم لا ينفع مال ولا بنون ، الا من

أتى الله بقلب سليم .

أعتقهم - رضي الله عنه - ولم يقتصر على الرجال الجلد بل عم خيره النساء الضعيفات اللاتي لا حول لهن ولا قوة .

ولقد قال له أبوه : يا بني أني أراك تعتق رقابا ضعافا ، فلو انك اذ فعلت أعتقت رجالا جلدا يمنعوك ويقومون دونك .

فأخبر أبو بكر أباه بعلة عدوله عن هذا الى ذاك ، فقال قول المؤمن الصادق الذى ينفق ابتغاء ما عند الله ، اني أريد ما عند الله .

ورعـــه وتقـــواه

وأخرج أبو نعيم عن الحلية في زيد بن أرقم قال : كان لأبي بكر مملوك يغل عليه فأتاه ليلة بطعام فتناول منه لقمة فقال له المملـــوك مالك كنت تسألني كل ليلة ولم تسألني الليلة ؟ قال : حملني على ذلك الجوع من أين جئت بهذا ؟

قال : مررت بقوم رقيت لهم في الجاهلية فوعدوني ، فلما انكان اليوم مررت بهم ، فاذا عرس لهم فأعطوني ،قال : ان كنت لتهلكـــني وأدخل يده في حلقه فجعل يتقيأ وجعلت لا تخرج ، فقيل له : ان هذه لا تخرج الا باكاء ، فدعا بطست من ماء فجعل يشرب ويتقيـــأ حتى رمى بها ، فقيل له : يرحمك الله أكل هذا من أجل لقمـــــة؟ قال له : لو لم تخرج الا مع نفسي لأخرجتها ، سمعت رسول اللـــه صلى الله عليه وسلم يقول : " كل جسد نبت من سحت فالنار أولـــى به " (١) فخشيت أن ينبت من جسدى شيء بهذه اللقمة .

أقول : يرحم الله أبا بكر ما أروعه فها هو يخبرنا أنه يهون عليه أن تخرج نفسه من بين جنبيه مع تلك اللقمة ولا يمتصها جسده فينبـــت منها .

وهل ياتـــرى ترك أبا بكر هذا الطعام لأنه أجرة على رقية أم ماذا ؟

أقول : لم يتركه لأنه أجرة على رقية لأن ذلك حلال قد بينـــه الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه ، ولكن الذى جعل أبو بكر يتحـــرج من أكل هذا الطعام هو أنه لا يعلم مصدره أحلال هو أم حرام ؟ فالأمر

---

(١) حلية الأولياء (١/٣١) .

فيه شبهة ، فترك الطعام من أجل هذه الشبهة لأنه يعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " ومن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه "(١).

سبحان الله **خليفة** المسلمين لم يسأل خادمه عن الطعام حينما أكله لأنه كان جائعا ، ومفاتيح الخزائن تحت تصرفه ، ثم لما تاقت نفسه لهذا الطعام واستعدت لأكله سأل عن مصدره فلم يطمئن له فكبح جماح نفسه وراح يخرج لقيمة أكلها ، انه الايمان الذى وقر في نفسه ، وخوف الله الذى تمكن من قلبه .

وأخرج عنه أيضا (يعني عن زيد بن أرقم) :

أن أبا بكر دعا بشراب فأتي بماء وعسل ، فلما أدناه من فيه نحاه ثم بكى حتى أبكى أصحابه ، ثم سكتوا وما سكت ، ثم عاد فبكى حتى ظنوا أنهم لا يقدرون على مسألته ثم أفاق ، فقالوا : يا خليفة رسول الله : ما أبكاك ؟ قال : كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيته يدفع عن نفسه شيئا ولم أرى أحدا معه ، فقلت : يا رسول الله ما هذا الذى تدفع ولا نرى أحدا معك ؟ قال : هذه الدنيا تمثلت لي ، فقلت لها : اليك عني ، فتنحت ثم رجعت ، فقالت : أما انك ان أفلت(٢) فلن يفلت أحد مني بعدك . فذكرت ذلك فخشيت(٣) أن تحلقني .

أقول : يبكي أبو بكر رضي الله عنه لما أنه قدم له نوعين من الشراب

---

(١) رواه البخارى ، في كتاب الايمان ، باب فضل من استبرأ لدينه .
(٢) أفلت : رجعت .
(٣) الحلية (١ / ٣٠) .

ماء وعسل ، وخشي أن تحلقه الدنيا وتفتنه عن دينه .

فليت أبو بكر يرى ما نحن فيه من التكالب على الدنيا والرغبة في الخلود والراحة وبغض الجهاد حتى تمكن الذل من قلوب الكثيرين منا ولا حول ولا قوة الا بالله ، فانتزعت هيبتنا من القلوب وأصبح أعداؤنا ينظرون الينا شزرا ، ينتظرون فرصتهم الأخيرة ، ولن يعود لهذا الدين صولة وجولة الا اذا بعد أهله الدنيا ورفضوها وطمعوا في الآخرة وآروها فلن يصلح آخر هذه الأمة الا بما صلح به أولها .

ما الذى جعل أسلافنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من بعده يسيطرون على الدنيا ويفتحونها شرقا وغربا ؟

انه الايمان الذى يفعل العجائب ويدك الجبال ، فيهون عليهم بذل أنفسهم لأنهم يعلمون العاقبة ويثقون بوعد الله ، فتراهم يكتبون الى فارس والروم الدولتين العظيمتين بأقسى اللهجات ، اما أن تدخلوا في ديننا فلكم ما لنا وعليكم ما علينا ، واما أن تدفعوا الجزية عن يد وأنتم صاغرون ، أو لنأتينكم بقوم حبهم للموت كحبكم للخمر .

وفي الكتاب الآخر يقول قائدهم أو لنأتينكم بقوم حبهم للموت كحبكم للحياة !! .

وأخرج أبو أحمد الحاكم عن معاذ بن جبل قال : دخل أبو بكر حائطا واذا بدبسي في ظل شجرة فتنفس الصعداء ، ثم قال : طوبى لك يا طير !! تأكل من الشجر ، وتستظل بالشجر ، وتطير الى غير حساب ، يا ليت أبا بكر مثلك .

وأخرج ابن عساكر عن الأصمعي قال : كان أبو بكر يقول : اللهم اجعلني خيرا مما يظنون ، واغفر لي ما لا يعلمون ، ولا تؤاخذني بما يقولون (١) .

وأخرج أحمد في الزهد ، قال أبو بكر الصديق : وددت أني شعرة في جنب مؤمن (٢) .

أقول : هذا خوف أبو بكر الصديق من الله وهو المبشر بالجنة وأنه يدخل من أبوابها الثمانية لكن ذلك لم يحمله على الاتكال فهو جامع بين الخوف والرجاء فيخاف من الله خوفا لا يجعله ييأس ، ويرجو الله رجاء لا يجعله يتكل .

وهذا شأن المؤمن يجب عليه أن يكون بين الخوف والرجاء ، وها هو رضي الله عنه - يغبط هذا الطير لأنه يطير الى غير حساب ، وقد روى أن الرسول صلى الله عليه وسلم أخبر بأن أبا بكر لا يحاسب .

---

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي : ١٠٤ .
(٢) الزهد للامام أحمد : ١٠٨ .

* **زهده رضي الله عنه :**

من أعظم الأدلة على زهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه - أنه طلق الدنيا طلاقا لا رجعة فيه، فلقد آثر حب الله وحب رسوله على جمع رؤوس الأموال وتكديسها ، فلقد طالعتنا الأخبار بأنه كان من تجار مكة وأن رأس ماله يربو على أربعين ألف درهم ، ولكنه لما أسلم رضي الله عنه وصار الساعد الأيمن لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - طمع فيما عند الله من أجر وثواب وآثر الباقي على الزائل ، فأصبح ينفق بكلتا يديه في سبيل نصر هذه الدعوة وجعلها تبدو على حيز الوجود ، فأصبح يشترى العبيد الذين أسلموا ووقعوا تحت تعذيب من يملكونهم ، وأصبح يبذل بذل الكرماء الذين لا يخشون الفقر ، ولقد نوه بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أخرج أحمد في مسنده عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما نفعني مال قط ، ما نفعني مال أبي بكر" ، فبكى أبو بكر ، وقال : هل أنا ومالي الا لك يا رسول الله .(١)

وأخرج أبو سعيد بن الأعرابي عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال أسلم أبو بكر رضي الله عنه يوم أسلم وفي منزله أربعون ألف درهم ، فخرج الى المدينة في الهجرة ، وماله خمسة آلاف ، كل ذلك كان ينفقه في الرقاب والعون على الاسلام .(٢)

وأخرج أحمد بسنده عن عبدالله اليمني مولى الزبير بن العوام

---

(١) رواه أحمد في المسند (٢/٢٥٣) .
(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي : ٣٩ .

قال : لما احتضر أبو بكر - رضي الله عنه - تمثلت عائشة - رضي الله عنها - بهذا البيت :

أعاذل ما يغني الحذار عن الفتى اذا حشرجت يوما وضاق لها الصدر

فقال أبو بكر - رضي الله عنه - ليس كذلك يا بنيه ، ولكن قولي : ((وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد)) ، فقال : انظروا ثوبي هذين فاغسلوهما ثم كفنوني فيهما ، فان الحي أحوج الى الجديد من الميت " (١) .

ولي عند هذا الحديث وقفه :

من خلال هذا الحديث نرى كيف كان أبو بكر حريصا على بذل العلم وتعليم الناس حتى في مثل هذه المواقف الصعبة ، فهو - رضي الله عنه - يحتضر تلك الساعة ومع ذلك أنكر على عائشة عدولها عن كتاب الله الذى هو أصدق الحديث الى أشعار العرب ، فنبهها الى آية تناسب المقام ، فقال لها ولكن قولي : ((وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد)) (٢) .

وأخرج بسنده أيضا عن عائشة رضي الله عنها قالت : ان أبا بكر - رضي الله عنه - حين حضرته الوفاة قال لعائشة : اني لا أعلم في آل بكر من هذا المال شيء الا هذه اللقحة ، وهذا الغلام الصقيل كان يعمل سيوف المسلمين ويخدمنا فاذا مت فادفعيه الى عمر - رضي الله عنه - فلما بعثت به الى عمر قال : يرحم الله أبا بكر لقد أتعب من بعده . (٣)

---

(١) كتاب الزهد للامام أحمد : ١٠٩ . (٢) سورة ق ، آية : ١٩ .
(٣) المرجع السابق : ١١٠ .

أقول أن هذا لهو غاية الزهد في الدنيا خليفة المسلمين وحاكمهم يموت وليس وراءه تركة الا لقحة من الابل وغلام يستعمله في خدمته ، ولقد صدق عمر - رضي الله عنه - رحم الله أبا بكر لقد أتعب من بعده ، فهو يقصد بهذه العبارة نفسه ، نعم لقد أدى أبو بكر دوره في الخلافة خير أداء وأعز الله به الاسلام وقمع أهل الكفر والعناد وزهد في الدنيا ورفضها ، وبعد وفاته يستلم عمر - رضي الله عنه - الخلافة ويتقلد أمانة المسلمين في عنقه ، ولا بد أن يسير على نهج من عهد له بالخلافة أبو بكر - رضي الله عنه - ومنهج أبو بكر - رضي الله عنه - صعب وشائك لا يقدر على تحمله الا النفوس المفعمة بالايمان حتى تقدر على تخطي العقبات ، من أراد أن يسلك طريق أبي بكر فلن يركن الى الدنيا ولن يتلذذ بلذاتها ، فكان حقا لعمر أن يقول قولته ، رحم الله أبا بكر ، لقد أتعب من بعده .

ولقد سار - رضي الله عنه - على نفس الطريق والمنهج فكان خير خلف لخير سلف .

وروى أحمد بسنده عن حبيب بن صهيب قال : حضرت الوفاة ابنا لأبي بكر[1] فجعل يلحظ الى وساده فلما توفى قالوا لأبي بكر : رأينا ابنك يلحظ الى وساده ، فرفعوه عن الوسادة فوجدوا تحتها خمسة دنانير أو ستة ، قال : فضرب أبو بكر بيده على الأخرى يرجع بقوله : " انا لله وانا اليه راجعون " ، يا فلان ما أحسب جلدك يتسع لها "[2] .

---

(١) هو ابنه عبدالله .

(٢) كتاب الزهد للامام أحمد : ١١٣ .

ولي عند هذا الحديث وقفة :

وهي أن أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ قد استكثر خمسة دنانير أو ستة وجدها تحت وسادة ابنه ، وهذا من أعظم الأدلة على زهده ، وما أعظم كلمته التي قال ـ رضي الله عنه ـ " ما أحسب جلدك يتسع لها " .

فليت أبا بكر يرى : من تتسع جلودهم الى آلاف الملايين وهم يسعون جاهدين للمزيد !! فليس والله مغبوط من آثر دنياه على آخرته واستعبدته الدنيا حتى أصبح رهن اشارتها يضحي بدينه وبكل شيء يملكه في سبيلها .

وما يدل على زهده طعامه الذى كان يأكل .

روى عن بعض الصحابة أنه قال : رأيت أبا بكر بالخدرات[1] وقد حمل سفرة معلقة في مؤخرة الحصار[2] ، فاذا قريص من ملة[3] فيه أثر الرضيف[4] واذا حميت من سمن ، فدعاني فأصبت من طعامه[5] .

أقول : طعام يدل على البساطة وعدم التكلف وعدم الرغبة في أكل المشهيات التي قد ترغب في الدنيا عن الآخرة ، ولكنه يعلم أن أمامه طعاما وشرابا ومأوى ينتظره في جنة الخلد بجوار حبيبه صلى الله عليه وسلم في الجنة التي فيها من النعيم مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، جمعنا الله بهم

---

(١) موضع (٢) شيء كالحقيبة .
(٢) أى بما ينضح في ملة وهي الرماد الحار.
(٣) اللحم المشوى على الرضيف يعني على الحجر المحمي بالنار .
(٤) أبو بكر الصديق ، علي الطنطاوى : ٣٤٠ .

وحشرنا في زمرتهم آمـــين .

ومما يدل على زهده ـ رضي الله عنه ـ اقتصاده في نفقة بيته :

فلقد اشتهت زوجته حلوا ، فقال : ليس لنا ما نشترى به !! فقالت : انا أستفضل من نفقتنا في عدة أيام ما نشترى به ، قـــال : افعلي ، ففعلت : فاجتمع لها في أيام كثيرة شيء يسير ، فلما عرفتـه ذلك ليشترى به حلوا أخذه فرده الى بيت المال ،وقال : هذا يفضل عن قوتنا وأسقط من نفقته بمقدار ما نقصت كل يوم وغرمه الى بيـــت المال من ملك كان له (١) .

أقـــول :

الحقيقة أن الانسان يقف مندهشا أمام هذه الشخصيـة الفـــذة العظيمة التي جمعت قناعة وزهد وتقى لا مثيل لها كلها .

هذا قليل من كثير من الأدلة على زهده ـ رضي الله عنه ـ وقـــد ورد أنه كان يلبس عباءة قد خللها في صدره بخلال .

وصدق الشاعر حينما قال :

ان للـه عبادا فطنـــا طلقوا الدنيا وخافوا الفتنـا

علموها فتنة فاتخـــذوا صالح الأعمال فيها سفنـا

حقا ما قال ... لقد طلقوها ولم يراجعوها لعلمهم أنها فتنـــة فأخذوا منها ما يبلغهم الى قصدهم ، وزرعوا فيها زرعا جنوا ثماره وسوف

(١) أبو بكر الصديق ، على الطنطاوى : ٢٤٢ .

يجنونها يوم لا ينفع مال ولا بنون ، الا من أتى الله بقلب سليم .

* **تواضعـــــــه :**

كان أبو بكر رضي الله عنه ـ اذا سقط خطام ناقته ينزل ليأخـــذه فيقال له لو أمرتنا أن نناولكه فيقول أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نسأل الناس شيئا (١) .

عزة في النفس ، وعدم اتكال على الآخرين ، ومظهر يدل علـــى مؤمن قوى يعتمد على الله ثم على نفسه فلا يسأل حتى ولو شيئا قليـلا كأن يناول سوطه اذا سقط وهو على ناقتـه .

ومما يدل على تواضعه أيضا شهادة الرسول صلى الله عليه وسلـم له بذلك :

أخرج البخارى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال ،قال رسول اللـه صلى الله عليه وسلم ـ من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله اليه يوم القيامـــة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ انك لست تصنع ذلك خيلاء (٢) .

ولنا عند هذا الحديث وقفـة :

بعض الناس يستدل بهذا الحديث على جواز اطالة الثياب أو السراويل حتى يجرها من خلفـــه .

ويتناسى قوله صلى الله عليه وسلم : " ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم ...ردد ها ثلاثا ، حتى قال أبو ذر : خابوا وخسروا ، من هم

---

(١) أبو بكر الصديق ، على الطنطاوى ، ص : ٢٢٤ .
(٢) رواه البخارى في كتاب فضائل الصحابة ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم " لو كنت متخذا خليلا ..... " ح : ٣٤٦٥ .

يا رسول الله ؟ قال : المسبل ازاره ، والمنان ، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب "[1] .

فلم يأت تخصيص في هذه الأحاديث ان العقاب خاص بمن جر ثوبه خيلاء فقط ولكنها عامة ، وحديث أبو بكر هذا لا يخصصها ، لأنه قال ان ازاره يسترخي لكنه يتعاهده ويصلحه برفعه له أو شيئا من ذلك ، أما الذين يطيلون ثيابهم فليسوا يتعاهدونها الا بتحريض الخياط على اطالتها ، أو تهديده بعدم دفع أجرة له ان هو قصرها .

ومما يدل على تواضعه أيضا - رضي الله عنه وأرضاه - أنه كان يحلب غنم الحي ، فلما ولي الخلافة عزموا عليه أن لا يحلبها فأبى ، وقال : " أرجو أن لا يغيرني ما دخلت فيه على ما عليه من قبل " فأستمر على حلبها ولم ينصع لقولهم وحرى بمن صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون هذا خلقه فصاحبه مثال في التواضع ، كان يصغي عليه الصلاة والسلام للمرأة العجوز الضعيفة ويسمع شكايتها ، ويحل مشكلتها[2] ، وقد مدحه ربه وأثنى عليه بقوله : " وانك لعلى خلق عظيم " .

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته وسار على منهجه واتبع طريقته الى يوم الدين .

---

(١) رواه مسلم في كتاب الايمان ، باب غلظ تحريم اسباب الازار ، ح : ١٧٢ .
(٢) سورة القلم ، آية : ٤ .

جهـــــاده

" رضي اللـــه عنـــــه "

لقد شهد أبو بكر المواقع كلها مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فكانت له اليد الطولى في المعارك ، ولقد أبلى في الله بلاء حسنـــا ، فها هو في موقعة بدر ، والتي هي أول موقعة وقعت بين المسلمـــين والمشركين في السنة الثانية من الهجرة في السابع من شهر رمضان المبارك ـ شاء الله جل وعلا ، أن يخرج الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ في ثلاثمائة وسبعة عشر رجلا من المهاجرين والأنصار ، يريدون أن يتعرضوا لعـــير قريش ، ولكن العير قد فاتتهم الى مكة ، وكان قد خرج الكفار من مكـة لاغاثة عيرهم من محمد .

فلما سلمت العير أشار بعضهم على بعض أن ارجعوا .

فقال أبو جهل : والله لا نرجع حتى نقدم بدر ونطعم من حضرنا من العرب ، وتخافنا العرب بعد ذلك .

فأخذتهم العزة بالاثم ، وعزموا على عدم الرجوع ، فساروا ، وســار رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى نزل عشاء أدنى ماء من مياه بدر ، فقال : أشيروا علي في المنزل ، فقال الحباب بن المنذر : أنا عالـــم بهـــا وبقلبهـــا ، ان رأيـــت أن نســـير الى قلـــب قـــد

عرفناها فهي كثيرة الماء عذبة ، فننزل عليها ، ونسبق القوم ونغور ما سواها من المياه ، فأخذ كل من الفريقين مكانه ، وبني لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - عريش يكون فيها على تل مشرف على المعركة ، وجعل يشير بيده هذا مصرع فلان ، وهذا مصرع فلان ان شاء الله ، وترآى الجمعان ، فقال الرسول - صلى الله عليه وسلم - اللهم هذه قريش جاءت بخيلها وفخرها ، جاءت تحاربك وتكذب رسولك ، فقام ورفع يديه ، واستغفر ربه ، وقال : اللهم : انجز لي ما وعدتني ، اللهم ..أنشدك عهدك ووعدك ، فالتزمه الصديق من وراءه وقال له : أبشر يا رسول الله ، فوالذى نفسي بيده لينجزن لك ربك ما وعدك .(١)

وفعلا نصر الله المسلمين نصرا مؤزرا ، فقتلوا من المشركين سبعين وأسروا كثيرا ، وتتجلى شجاعة الصديق - رضي الله عنه - في مثل هذا الموقف ، فلقد كان يضرب بسيفه من أراد أن يقترب من عريش رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم انه طمأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في هذه اللحظات الصعبة ، وفي هذا الموقف الحرج .

قلت :

ولم يكن الرسول عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم - ليتأخر عن خوض غمار المعركة ، ولكن صحابته طلبوا منه ذلك خوفا عليه ، ولأنها تكون عندهم القوة المعنوية أثناء المعركة اذا اطمأنوا على حياة قائدهم ، ثم أنه يدعو لهم بالنصر ، ودعوته عليه الصلاة والسلام مستجابة .

---

(١) زاد المعاد لابن القيم (٢/٨٧) .

وفي غزوة أحد :

ذلك اليوم العظيم والذى قد حصل فيه ما حصل من الابتـــــلاء للمسلمين ، ليميز الله الخبيث من الطيب ، فلما خالف الرماة أمـــــر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن حسن نية ، اعتلى الكفار الجبل من خلفهم ولقد عزم عليهم بقوله : لا تنزلوا من هذا المكان ولو رأيتم الطـــــير تخطفنا ، أو رأيتمونا قد هزمنا العدو ، لا تنزلوا حتى يأتيكم مني كذا .

ولما دارت المعركة نظر الرماة الى الكفار فاذا هم قد فروا وظنوا أنهم لا رجعة لهم فنزلوا عن الجبل لجمع الغنائم ، فلما شعر الكفـار منهم بذلك رجعوا مرة أخرى بقيادة خالد بن الوليد قبل اسلامـــــه فاعتلوهم من فوق الجبل ، وحصل من البلاء والشدة لصحابة رسول اللـــه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما حصل ، ولقد أبلى الصحابة في هذه المعركـة بلاء حسنا وجعلوا أنفسهم فداء لرسول الله ، فطوقوا عليه ليحموه مـــن ضرب السهام ، ومن هؤلاء الأبطال الذين تولوا المهمة الكبيرة ـ وهـــي الذود عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ منهم أبو بكر الصديق ، وعمـر ابن الخطاب ، وطلحة بن عبيدالله ، وأبوعبيدة بن الجراح ، ولقـــــد استبسل أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ وجرحه الكفار .

وأخرج أبو حاتم معناه ولفظه قال : قال أبو بكر لما صرف النـــاس يوم أحد عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كنت أول من جاء النـــبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فجعلت أنظر الى رجل خلفي بين يديه يقاتل عنـه ويحميه ، فجعلت أقول كن : طلحة فداك أبي وأمي مرتين ، قـــال : ونظرت الى رجل خلفي كأنه طائر فاذا هو أبو عبيدة بن الجراح ، فـــاذا

طلحة بين يديه صريعا ، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - دونكم أخاكم فقد أوجب ، قال : وقد رمى في جبهة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ووجنته ، فأهويت الى السهم لأنزعه ، فقال : أبو عبيدة : ناشدتك الله يا أبا بكر الا تتركني ، قال : فتركته فأخذ أبو عبيدة السهم بفيه ، فجعل ينضضه ويكره أن يؤذى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم استله بفيه ، ثم أهويت الى السهم الذى في وجنته لانزعه فقال أبوعبيدة ناشدتك الله يا أبا بكر ألا تتركني فنزع السهم بفيه (١) .

وفي غزوة أحد أيضا برز عبدالرحمن بن أبي بكر من المشركين وطلب المبارزة ، فأراد أبو بكر أن يبرز اليه ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - شم سيفك ، وأمتعنا بك (٢) .

في الحقيقة أنها مواقف عظيمة ، تجلت عن شجاعة وايمان ، أرأيت كيف قام أبو بكر لمبارزة ابنه وفلذة كبده ، وأنه لصادق وعازم لولا أن الرسول عليه الصلاة والسلام منعه ، ولا غرو أن يقوم أبو بكر لمبارزة ابنه فهو يؤمن بقول الله تعالى : ((لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم)) (٣) الآية .

ولقد أبلى - رضي الله عنه - في غزوة الخندق ، بلاء حسنا ، وقد عمل مع بقية المهاجرين والأنصار في حفر الخندق ، فكان ينقل

---

(١) تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس (١ / ٤٣١) .
(٢) الكامل لابن الأثير (٢ / ١٠٨) .
(٣) سورة المجادلة ، آية : ٢٢ .

التراب في ثيابه هو وعمر بن الخطاب ، رضي الله عنهما ، ينقلان التراب في ثيابهما من العجلة اذ لم يجدا مكاتل (١) .

وفي موقعة حنين لما انهزم المسلمون أول الأمر حينما كانوا معجبين بكثرتهم فأخذ ينبههم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - من هؤلاء الرجال الأبطال الذين ثبتوا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم وأبلوا بلاء حسنا (٢) .

---

(١) امتاع الأسماع للمقريزى (١/٢٢٢) .
(٢) البداية والنهاية (٤/٣٢٥) .

مواقفه في الحق - رضي الله عنه -

موقفه من النبي صلى الله عليه وسلم حينما بعث :

ولقد كان لأبي بكر - رضي الله عنه - موقفا عظيما حينما بعث الله محمدا ، ودعا الى عبادة الله وحده ، فلقد تقبل دعوته بصدر رحب ، واستقام على ما دعاه اليه - محمد صلى الله عليه وسلم - فقبل الاسلام ، وأقبل عليه ، ولقد فرح رسول الله صلى الله عليه وسلم باسلامه .

وتكمن أهمية هذا الموقف في أن الدعوة ما زالت في طورها البدائي السرى ، فكان اسلامه رضي الله عنه فتحا جديدا ، ونصرا مؤزرا لهذه الدعوة الناشئة ، فأخذ يدعو الى الله بكل ما يملك من قوة فأسلم على يديه الكثيرون ، ونشأت الدعوة وتطورت وترعرعت .

ثم يأتي بعد ذلك موقفه الآخر الذى هو أعظم من سابقه ، وهو عزمه على أن يجهر بالدعوة على رؤوس الأشهاد من قريش غير مبال بما سيحصل له ، فألح عليهم بالظهور ، وكانوا ثمانية وثلاثون رجلا ، فقام أبو بكر في الناس خطيبا ، فكان أول خطيب دعا الى الله والى رسوله وثار المشركون على أبي بكر وعلى المسلمين ، وضربوا في نواحي المسجد ضربا شديدا (١) .

ولقد كان - رضي الله عنه - يعلن صلاته في مسجده الذى وضع عند بيته ، ولا يستخفي بها ، ويجهر بالقراءة ، حتى إن كثيرا من يسمعون قراءته تأثروا بذلك وأسلموا .

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي : ٣٧ بتصرف .

* موقفه من ابن الدغنة حين تنصل من جواره :

ومن مواقف أبي بكر - رضي الله عنه - الحاسمة أنه لما أوذى في الله وضايقه المشركون ، عزم على الهجرة الى الحبشة ، فارا بدينه ، الى تلك الأرض التي يحكمها امام عادل لا يظلم أحد بجواره وهو النجاشي - رحمه الله - .

روى ابن اسحاق عن عروة عن عائشة قالت حين ضاقت عليه مكة وأصابه فيها الأذى ، ورأى من تظاهر قريش على النبي - صلى الله عليه وسلم - ما رأى استأذن رسول الله في الهجرة فأذن له ، فخرج أبو بكر رضي الله عنه مهاجرا حتى اذا سار من مكة يوما أو يومين لقيه ابن الدغنة أخو بني الحارث بن بكر بن عبدمناة بن كنانة وهو يومئذ سيد الأحابيش فقال الى أين يا أبا بكر ؟ قال : أخرجني قومي وآذوني وضيقوا علي ، قال : ولم ؟ ، فوالله انك لتزين العشيرة ، وتعين على النوائب ، وتفعل المعروف ، وتكسب المعدوم ، ارجع فانك في جوارى ، فرجع معه حتى اذا دخل مكة قام معه ابن الدغنة فقال : يا معشر قريش قد أجرت بن أبي قحافة ، فلا يعرض له أحد الا بخير ، فكفوا عنه ، قالت : وكان لأبي بكر مسجدا عند باب داره في بني جمح يصلي فيه ، وكان رجلا رقيقا اذا قرأ القرآن استبكى ، قالت : فيقف عليه الصبيان والعبيد والنساء يعجبون لما يرون من هيأته ، قال : فمشى من قريش الى ابن الدغنة ، فقالوا : يا ابن الدغنة : انك لم تجر هذا الرجل ليؤذينا ، انه رجل اذا صلى وقرأ ما جاء به محمد يرق وكانت له هيأة ونحن نتخوف على صبياننا ونسائنا وضعفائنا أن يفتنهم ، فأته فمره بأن

يدخل في بيته فليصنع ما يشاء فيه ، قالت : فمشى ابن الدغنة اليه ، فقال : يا أبا بكر اني لم أجرك لتؤذى قومك ،وقد كرهوا مكانك الذى أنت به وتأذوا بذلك منك ، فادخل بيتك فاصنع فيه ما أحببت ، قال : أو أرد عليك جوارك وأرضى بجوار الله ، قال : فاردد على جـــوارى ، قال : قد رددته عليك ، قال : فقال ابن الدغنة فقال : يا معشـر قريش ان ابن أبي قحافة رد علي جوارى فشأنكم بصاحبكم (١) .

قلـــــت :

وقف ـ رضي الله عنه ـ موقف الرجل الشجاع ، ورضي بجوار ربالعالمين عن جوار من سواه من الخلق المستضعفين ، فكان هذا الموقف فيـــــه من اظهار قوة الدعوة ما فيه ، ثم إنه موقف ينم عن الايمان بالله جـــل وعلا والثقة بنصره ، وفعلا استمر أبو بكر على ما هو عليه حتى أذن اللـــه لرسوله بالهجرة ، فكان هو الصاحب لرسول الله صلى الله عليه وسلـــم في هجرتـــــه .

ولم يقبل أبو بكر جوار ابن الدغنة أولا الا تحسبا منه ان ذلـــك سوف يمكنه من الدعوة الى الله ولا ينال بأذى من أحد .

* موقفه من حديث الاسراء :

موقفه هذا ـ رضي الله عنه ـ يدل على عظمة ايمانه وكمال يقينة ، فلما أسرى بصاحبه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ورأى ما رأى من المشاهـــد العظيمة ، ورجع الى مكة في نفس الليلة ، علم أن الناس لا يصدقونـــــه

---

(١) البداية والنهاية (٣/٩٢) .

فقعد في المسجد مغموما ، فمر به أبو جهل ، فقال كالمستهزئ : هل استفدت الليلة شيئا ؟ قال : نعم . أسرى بي الليلة الى بيت المقدس ، قال : ثم أصبحت بين ظهرانينا ؟ فقال : نعم ، فخاف أن يخبر بذلك عنه فيجحده النبي ، فقال : أتخبر قومك بذلك ؟ فقال نعم ، فقال أبو جهل : يا معشر بني كعب هلموا فأقبلوا فحدثهم النبي - صلى الله عليه وسلم - فمن بين مصدق ومكذب وواضع يده على رأسه وارتد الناس ممن كان آمن به وصدقه ، وسعى رجال من المشركين الى أبي بكر ، فقالوا : ان صاحبك يزعم كذا وكذا ، فقال : ان كان قال ذلك فقد صدق ، اني لأصدقه بما هو أبعد من ذلك ، أصدقه بخبر السماء في غدوة أو روحة ، فسمي أبو بكر الصديق من يومئذ .(١)

قلت :

حقيقة انه موقف عظيم يدل على تمكن الايمان من قلب أبي بكر - رضي الله عنه - ويعتبر هذا الموقف نصرا للدعوة وصاحبها ، ثم انه قال ان كان قال ذلك فقد صدق ، ثم أتى بتعليل لسبب تصديقه لكي يقطع حجتهم وليعلموا أنه لا يصدقه الا عن اقتناع ، فقال : اني أصدقه بما هو أبعد من ذلك ، أصدقه بخبر السماء في غدوة أو روحة .

لقد كان لهذا الموقف أثر عظيم حيث عظمة هيئة الصديق وقوة ايمانه ، وكبحه لهؤلاء الكفار الذين أرادوا أن يستخفوه من الأرض ولكن الله ثبته وربط على قلبه .

وما أكثر مواقفه في الحق ، فلقد كان له موقف عظيم في الدفاع

---

(١) الكامل لابن الأثير (٢/٣٦) .

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ولسانه ، وكان يفتديه بنفسه وقد بسطت القول في ذلك لما تحدثت عن شجاعته ، وهذا الموقف يعتبر حماية للدعوة ولصاحبها كي تشق طريقها ويظهر دين الله ولو كره الكافرون .

ولقد كانت له مواقف عظيمة في الهجرة تدل على قوة الايمان بالله والحرص على هذه الدعوة وعلى صاحبها ، فكان رضي الله عنه لما خرج هو ورسول الله الى الغار يأتي أمامه ثم يأتي خلفه ثم يأتي عن يمينه ثم يأتي شماله ، كل ذلك حرصا عليه من الأعداء حرصا عليه من الرصد ، وحرصا عليه من الطلب .

ولما أتيا الغار فدى بنفسه واستبرأه للرسول - صلى الله عليه وسلم - ثم ما ترك ثقبا الا وشق من ثوبه وسد هذا الثقب ، كل ذلك حرصا على صاحبه .

* ومن مواقفه :

ثباته يوم قبض رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :

روى البخارى في صحيحة عن عائشة - زوج النبي صلي الله عليه وسلم ، رضي الله عنها - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مات وأبو بكر بالسنح ، قال اسماعيل : يعني بالعالية - فقام عمر يقول : والله ما مات رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، قالت : وقال : عمر ما كان يقع في نفسي الا ذاك ، وليبعثنه الله فليقطعن أيدى رجال وأرجلهم ، فجاء أبو بكر فكشف عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقبله قال : بأبي أنت وأمي : طبت حيا وميتا ، والذى نفسي بيده لا يذيقك

الله الموتتين أبدا ، ثم خرج فقال : أيها الحالف على رسلك ، فلما تظلم أبو بكر جلس عمر ، فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه وقال : الا من كان يعبد محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ فان محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت . وقال : ((انك ميت وانهم ميتون)) (١) وقال : ((وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزى الله الشاكرين)) (٢) (٣) ، فنشج الناس يبكون .

قلـــــــت :

انه لموقف عظيم يدل على ايمان بالله ورسوله ، انه الثبات العظيم انها لكلمات قوارع تذكر الناس بما قد أنزل على محمد بن عبدالله من آيات تدل على أنه سيموت ، بعدما سمع الناس هذه الآيات علموا أن الرسول قد مات ، كما من سبقه من المرسلين ، فعادوا الى رشدهم .

ثم أخذ الصديق ـ رضي الله عنه ـ يواصل كلامه مبينا فيه أن بوارق الأمل مضيئة ، وأن الله سينصر هذا الدين ، وأنهم سيجاهدون حتى تكون كلمة الله هي العليا ، وأن كتاب الله بينهم ، وهو النور والشفاء أخذ يطمئنهم ويهدئ من روعهم ، ويدخل على نفوسهم الفرج ، لأن المصاب جلل ، والأمر عظيم ، فما أعظمها من مصيبة جعلت عمرا وهو الرجل القوى يندهش ويذهب ويحلف أن من قال أن رسول الله

(١) سورة الزمر ، آية : ٣ .
(٢) سورة آل عمران ، آية : ١٤٤ .
(٣) رواه البخارى ، في باب فضائل الصحابة في باب (٥) ح : ٣٤٦٧ .

قد توفى أن يضرب عنقه ، ولكن الله أكرم المسلمين بثبات الصديق في ذلك اليوم ، فأخذ يقول مواصلا كلامه الأول :

" فاتقوا الله أيها الناس ، واعتصموا بدينكم ، وتوكلوا على ربكم ، فان دين الله قائم ، وان كلمة الله تامة ، وان الله ناصر من ينصره ، ومقر دينه ، وأن كتاب الله بين أظهرنا ، وهو النور والشفاء ، وبه هدى الله محمدا - صلى الله عليه وسلم - وفيه حلال الله وحرامه ، لا نبالي بمن أجلب علينا من خلق الله ، ان سيوف الله لمسلولة ، ما وضعناها بعد ، ولنجاهد من خالفنا ، كما جاهدنا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم ، فلا يبغين أحد الا على نفسه "(١) .

وفعلا أتبع الصديق قوله فعله ، وأنجز الله على يده ما أنجز ، من اعزاز الدين ، وقمع الكفرة والمرتدين .

قال في فتح البارى : وفي هذا بيان رجحان علم أبي بكر على عمر ، فمن دونه ، وكذلك رجحانه عليهم لثباته في مثل ذلك الأمر العظيم(٢) .

وغير ذلك من المواقف العظيمة التي سجلها له التاريخ .

---

(١) البداية والنهاية (٥/ ٢١٤) .
(٢) فتح البارى (٧/ ٣٠) .

خلافتـــــه

(رضي اللـــــه عنـــه)

كنت قد تكلمت بايجاز عن موقف الصديق ـ رضي الله عنه وأرضـــــاه ـ حينما انتقل الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الهادى ، الى الرفيق الأعلى ، وعرفنا ما تحلى به من ثبات وقوة ايمان وصبر أمام هذا الخطب الجلـل ، والمصاب الفادح ، ولاحظنا كيف نبه صحابة رسول الله ـ صلى الله عليـــــه وسلم ـ بأن هذه سمة الله في خلقه ، وأن الموت لن يبقي أحـــــــدا ، كل شيء هالك الا وجهه ، ولاحظنا تنبيهه لهم بأن رسول الله ـ صلـــى الله عليه وسلم ـ لم ينتقل الى ربه الا وقد ترك أمته على المحجة البيضـاء ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها الا هالك ، وأنه ترك كتاب الله لأمتـــــه يتحاكمون اليه ويهتدون بهديه ولن يضلوا أبدا ، إنهم فعلوا ذلـــــك ، وعرف الصديق ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد نصح لأمته أيما نصح ، وبين لهم أيما تبيين ، ودعا الى الله وجاهد في الله حق جهادة حتى أصبحت راية الاسلام عالية خفاقة ، ثم أخبرهم أنهـــــم المنوطون هم ومن بعدهم من أمة محمد باكمال ما بدأ به من دعوة الـى الله ونشر الاسلام ، وتبليغ دينه عز وجـــل .

وبعد خطاب الصديق الذى قرع الآذان فانفتحت له القلوب ، عرف المسلمون أن الرسول توفى حقيقة ، وأن الأمر منوط بهم دون سواهـــم ، فأعدوا للأمر عدته ، وأول أمر مهم يتوقف عليه مستقبلهم هو اختيار خليفة بعد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ تكون بيده أزمة الأمور وبهـده الحل والعقد ، لأنهم يعلمون علما لا يتطرق الشك اليه أهمية ذلك ، كيف لا ؟

ودولتهم ما زلت في طور النشوء ، وأرادوا البت في هذا الأمر قبل دفن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهذا دليل على حرصهم على البيعة لمن هو أهل لذلك الأمر ، فوفقهم البارى جل وعلا وثبتهم ، وربط على قلوبهم ، وجمع كلمتهم وحفظهم ، وحفظ دولتهم من التفرق والتشتت والله لطيف بعباده .

" اهتم المسلمون بهذا الأمر لأنهم يعلمون حث رسولهم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم على الاستخلاف ، ولأنهم ودعو حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الذى رواه مسلم في صحيحه وهو قوله صلى الله عليه وسلم : " من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية " (١) .

ولأنهم من ناحية أخرى قد ذاقوا مرارة التفرق والتمزق والتناحر والتشاحن وذلك في جاهليتهم الغابرة حتى بعث الله لهم هذا الرسول المبارك - صلى الله عليه وسلم - فجمع به الأمة ، فبدلوا من بعد خوفهم أمنا ومن بعد ضيق العيش سعة ، ومن بعد الذل كرامة ورفعة .

* اجتماع الأنصار والمهاجرين في السقيفة :

فلما توفى المصطفى - صلى الله عليه وسلم - وانتقل الى الرفيق الأعلى اهتزت المدينة ، وارتجفت بل اهتزت الدنيا بأسرها ، فسارع الأنصار وعمدوا الى مكان الاجتماع والشورى وهي سقيفة بني ساعدة (٢) .

وفي الحقيقة أنه موقف صعب وحرج ، فالرسول عليه الصلاة والسلام

(١) رواه مسلم في كتاب الامارة ، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن .

(٢) مكان مسقوف يجتمعون فيه للتشاور في شئونهم العامة .

انتقل ولم يعين أحدا تعيينا قاطعا ، ولو أنه قد ورد في بعض الروايات أنه عين أبا بكر ، هذا من ناحية ، والأنصار هم أهل المدينة وهم الذين آووا المهاجرين ونصروهم ، وهذا من ناحية أخرى ، ومن ناحية ثالثة فالمهاجرون هم أوسط العرب نسبا ، وهم من قريش ، وهم أهل سابقة في الاسلام ، بل ان بينهم وبين الرسول - صلى الله عليه وسلم - قرابة ، ومن ناحية رابعة فالخزرج والأوس بينهم المنازعات والمشاحنات قديما الا أن الاسلام آخى بينهم وأزال كل ما في القلوب من بغضاء ولكن في مثل هذا الموقف لا بد أن تعود بعض الأمور ، فلن ترضى الأوس أن يستأثر بالأمر الخزرج دونهم ، وسيحصل شقاق وخلاف لا محالة.

فالمهاجرون يرون أن الأمر لهم دون غيرهم ، والأنصار كذلك ، وكادت أن تحصل فتنة لولا أن الله وقى الأمة الاسلامية والدعوة المباركة شرها ، ورأب الله هذا الصدع الذى كاد يهدم بناء دولة الاسلام الا وهو وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم - رأبه سبحانه باجتماع الأمة وعدم اختلافها على من يخلف رسول الله ، ويقود المسيرة ، وما ذلك الا منة منه وتفضلًا باعزازه لهذا الدين وقمع للكفرة والمشركين .

علم المهاجرون باجتماع اخوانهم الأنصار في سقيفة بني ساعدة فسارعوا اليهم ، خشية أن يحصل أمر لا تحمد عقباه ، أو أن يتفقوا على رأى لم يشترك فيه المهاجرون ، وكان ممثل المهاجرين في هذا المؤتمر ثلاثة من أعيانهم وهم : أبو بكر الصديق الصاحب الأول لرسول الله - صلى الله عليه وسلم ، وعمر بن الخطاب ، وأبا عبيدة عامر بن الجراح .

وصل المهاجرون الى اخوانهم من الأنصار في السقيفة ، فوجدوهم مجتمعون ، وفيهم رجل مزمل هو سيدهم "سعد بن عبادة" وكان أمير الخزرج ، وكان يومها وجعا .

بدأت المناقشات تدور حول هذه القضية العظيمة التي لم يجتمعوا الا من أجلها ، فقام خطيب الأنصار ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

" أما بعد : فنحن الأنصار ، وكتيبة الاسلام ، وأنتم يا معشر قريش رهط نبينا ، وقد دفت الينا دافة من قومكم ، فاذا هم يريدون أن يغصبونا الأمر "(١) .

أراد أن يتكلم عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - لأنه كان قد أعد كلاما بعدما سمع مثالة الأنصار السابقة ، ولكن أبو بكر قال له : على رسلك ، قال عمر : فكرهت أن أعصيه " .

قلت : وجدير بعمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أن يترك الفرصة لكي يتكلم أبو بكر لأنه يعرف مكانته أولا عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والأنصار تعرف ذلك ، كمال المعرفة ، وسوف يسمعون كلام أبي بكر أكثر مما يسمعون من عمر .

ومن ناحية أخرى فأبو بكر أبعد نظر وأدق تمييز ، وأعرف بالطرق التي يستطيع أن يقنع بها الأنصار ويطيب بها نفوسهم .

فقام أبو بكر ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، وقال :

---

(١) تاريخ ابن الأثير (٢/٢٢١) .

" يا معشر الأنصار ، انكم لا تذكرون فضلا الا وأنتم له أهـــل ، وأن العرب لا تعرف هذا الأمر الا لقريش ، هم أوسط العرب دارا ونسبا ، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلـين (وأخذ بيد عمر ، وبيد أبي عبيدة بـن الجراح) .

قال عمر : وما كرهت من كلامه غير تلك الكلمة ، ان كنت أقـدم فتضرب عنقي ، فيما لا يقربني الى اثم أحب الي من أؤمر على قوم فيهـم أبو بكر .(١)

فقام الحباب بن المنذر - وكان بدريا - فقال : " منا أمير ، ومنكـم أمير " ، والله ما ننفس هذا الأمر عليكم أيها الرهط ، ولكنا نخـاف أن يليـه أقوام قتلنا آبائهم واخوانهم .(٢)

فقال عمر بن الخطاب : هيهات ، لا يجتمع اثنان في قرن .(٣)

وقال أيضا : يا معشر الأنصار ، ألستم تعلمون أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد أمر أبا بكر أن يؤم الناس ؟ فأيكم تطيب نفسـه أن يتقدم أبا بكر .

فقالت الأنصـار : نعوذ بالله أن يتقدم أبا بكر .(٤)

وقال أبو عبيدة : يا معشر الأنصار ، انكم أول من نصر وآزر ، فـلا تكونوا أول من بدل وغير .(٥)

---

(١) تاريخ ابن الاثـير (٢/٢٢٣-٢٢٤) بتصرف .
(٢) طبقات ابن سعد (٣/١٨٢) .
(٣) تاريخ الطبرى (٣/٢٢٠) .
(٤) تاريخ الخلفاء للسيوطي : ٦٨ .
(٥) تاريخ الطبرى (٣/٢٢١) .

ثم لما رأى أبو بكر أن النفوس قد تهيأت مرة أخرى لسماع كلامه واصل خطابه الجامع ، وذكر فضائل الأنصار ومحامدهم ، واعترف بفضلهم ومما قاله :

" لقد علمتم أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : لو سلك الناس واديا وسلكت الأنصار واديا ، لسلكت وادى الأنصار ، ولقد علمت يا سعد أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال وأنت قاعد : " قريش ولاة هذا الأمر ، فبر الناس تبع لبرهم ، وفاجرهم تبع لفاجرهم "(١)

فقال له سعد : صدقت ، نحن الوزراء وأنتم الأمراء .(٢)

ثم قام بشير بن سعد أبو النعمان بن بشير فقال : " يا معشر الأنصار وانا والله لئن كنا أولى فضيلة في جهاد المشركين وسابقة في هذا الدين ما أردنا الى رضا ربنا وطاعة نبينا ، والكدح لأنفسنا ، فما ينبغي لنا أن نستطيل على الناس بذلك ، ولا نبتغي به من الدنيا عرضا ، فان الله ولي المنة علينا بذلك ، الا أن محمدا - صلى الله عليه وسلم - من قريش وقومه أحق وأولى ، وأيم الله لا يراني الله أنازعهم هذا الأمر أبدا ، فاتقوا الله ولا تخالفوهم ولا تنازعوهم .

ولما رأى أبو بكر أن نفوس القوم قد استعدت لقبول البيعة ، قال - رضي الله عنه - هذا عمر ، وهذا أبو عبيدة ، فأيهما شئتم فبايعوا ، فقالا : لا والله لا نتولى هذا الأمر عليك ، فانك أفضل المهاجرين ، وثاني اثنين اذ هما في الغار ، وخليفة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الصلاة ، والصلاة أفضل دين المسلمين ، فمن ذا ينبغي له أن يتقدمك

(١)

(٢) الخلفاء للسيوطي : ٧٠ .

أو يتولى هذا الأمر عليك ، ابسط يدك نبايعك ، ثم سبقهما لمبايعته بشير بن سعد ، ثم بايع الأوس وعلى رأسهم أسيد بن خضير ، ثم بايع أبا بكر قبيلة أسلم (١) .

ثم توالى الناس أفرادا وجماعات يبايعون الخليفة لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ألا وهو أبو بكر الصديق ، وحمى الله الأمة الاسلامية من هذا الخطر الذى قد أحدق بها ألا وهو الاختلاف والفرقة والتناحر والتقاتل ، ولكن الله سلم ، ولله الحمد والمنة أولا وآخرا .

فها هو عمر يفوه بفضل الصديق قائلا :

" وان الله قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وثاني اثنين اذ هما في الغار ، فقوموا فبايعوا " . ثم بويع أبو بكر من الغد البيعة العامة (٢) .

وما من شك أن أبا بكر أفضل الصحابة ، وأنه أهل للخلافة كيف لا ؟ والنبي - صلى الله عليه وسلم - قد أمره أن يصلي بالناس ، وهذا عهد له بالامامة الصغرى ، وهي الامامة في الصلاة ، وايذان لكي يعلم الناس أنه أولى فلا يحق لأحد أن يتقدم على أبو بكر - رضي الله عنه - .

ثم انه قد أمره في الحج ، وحج بالناس قبل حجة الوداع ، وهذا دليل على فضله ، ثم انه بلا شك أعلم بسيرة رسول الله ومنهجه من كل الصحابة لأنه كان ملازما وقت حياته ، فتعلم على يديه حتى كان مؤهلا للقيام بهذا العبء الثقيل .

---

(١) تاريخ الطبرى (٣/٢٢١) .
(٢) كنز العمال (٥/٦٠١) .

قلـــــت :

ولقد كان موقف الصديق في سقيفة بني ساعدة موقفا عظيما حيث عالج القضية علاجا ناجعا ، فذكر محاسن القوم ، ثم ذكرهم بما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى استعدت نفوسهم لقبول الحق ، ثم حينما رفع يد عمر - رضي الله عنه - ورفع يد أبا عبيدة ، لكي يعلموا حقيقة أنه لا يريد الأمر لنفسه ، ولقد تمنى - رضي الله عنه - الخلاص من ذلك لأنه يعرف ما يترتب عليه من مسئولية عظيمة أمام الله جلا وعلا ، ولأنه يقدر عظمة هذا الموقف ، ولكن لما ألزموه اغتنم الفرصة لاجتماعهم وعدم تفرقهم فقبلها على مضض - رضي الله عنه وأرضاه - ولقد أعطاها حقها وأدى رسالته خير أداء وتابع المسيرة المباركة ، وقمع الله به أعداء الاسلام ورفع الله به منار .

ولنعلم أن الصحابة - رضوان الله عليهم - لم يبايعوا أبو بكر بالخلافة الا لأنهم يعرفون له قدره ومنزلته .

فلقد كان أبو بكر - رضي الله عنه - يتصف بالصفات التي كان يتصف بها الرسول - صلى الله عليه وسلم - في الجاهلية والاسلام .

وكذلك فهو صاحب المواقف العظيمة التي اعترف بها رسول الهدى - صلى الله عليه وسلم - ولا ينكر ذلك أحدا من الصحابة .

منهجه في الخلافـــة

- أبو بكر يلقي خطبتـه :

وبعد ما تمت البيعة لأبي بكر الصديق - رضي الله عنه - خطب في الناس خطبة جامعة قليلة الكلمات ، ولكنها عميقة المعاني ، ولقد رسم الصديق - رضي الله عنه - منهجه الذى سيسير عليه في ادارة شـــؤون المسلمين .

فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد أيها الناس :

فاني وليت عليكم ولست بخيركم ، فان أحسنت فأعينوني ، وان أسـأت فقوموني ، الصدق أمانة ، والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوى حـــتى أريح عليه حقـه ان شاء الله ، والقوى فيكم ضعيف حتى آخذ الحـــق منه ان شاء الله ، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله الا ضربهم اللـــه بالذل ، ولا تشيع الفاحشة في قوم الا عمهم الله بالبلاء ، أطيعونـــي ما أطعت الله ورسوله ، فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكـــم ، قوموا الى صلاتكم يرحمكم الله "[٢] .

قلـــــت :

كأن الصديق - رضي الله عنه - أعطى بعض جوامع الكلم ، ففي هـــذه العبارات القليلة بين وأوضح منهجه الذى سيسير عليه ، وبين ما فيه مـــن سعادة الأمة وتمكينهـــا .

---

(١) أريح : اردد .

(٢) منتخب كنز العمال (٥/٦٠١) .

فلنتعرض بشكل سريع لكلمات هذه الخطبة ، لكي نعرف بعض ما تحمله في طياتها من بليغ الكلام ومجمل القول :

فقوله - رضي الله عنه - "فاني وليت عليكم ولست بخيركم " :

عبارة تدل على التواضع وعدم التكبر على الرعية ، وذلك مما يحبب النفوس اليه ويجعله يكبر في عيون الناس اذا آن أميرهم متواضع تواضع المسلم الحقيقي ، تواضع من غير مذلة ولا اهانة ، " وليت عليكم ولست بخيركم " ، لقد فهم أن الواجب على المؤمن أن لا يزكي نفسه ولا يبرأها فالنفس أمارة بالسوء ، والانسان معرض للخطأ ، يقول تعالى : ((فلا تزكوا هو أعلم بمن اتقى (١))) .

ولا غرو أن يتحلى الصديق بهذا التواضع الفريد من نوعه فهو مطبق لسيرة من خلقه التواضع وعدم التكبر ، هو مطبق خلق من مدحه الله في كتابه بقوله : ((وانك لعلى خلق عظيم (٢))) .

ثم قال : " فان أحسنت فأعينوني وان أسأت فقوموني " :

يشير بذلك الصديق - رضي الله عنه - الى حرية الرأى المباحة ، لأنه يعلم حقيقة قوله تعالى : ((وأمرهم شورى بينهم (٣))) .

فاذا رأوا منه اعوجاجا أشاروا عليه ونصحوه ، واذا رأوا منه استقامة أعانوه ونصروه .

ثم قال : " الصدق أمانة ، والكذب خيانة " :

---

(١) سورة النجم ، آية : ٣٢ .
(٢) سورة القلم ،آية : ٤ .
(٣) سورة الشورى ،آية : ٣٨ .

كلمات قليلة ومراميها بعيدة ، كلمات ترسم الفضيلة في المجتمع الاسلامي ، فالصدق من علامات المؤمن ، والكذب من علامات المنافق ، ثم انها جاءت هذه الكلمات في وسط خطابه - رضي الله عنه - لكي يصدقوه فيما قاله في أول خطبته ، وفيما قاله في آخرها ، لكي تطمئن نفوسهم والا فهم يعلمون صدقه ، وأن الكذب لا يطرأ على لسانه .

ثم يقول : " والضعيف قوى عندى حتى أريح عليه حقه ان شاء الله ، والقوى فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه ان شاء الله " :

كلمات تدل على نوع المعاملة التي سيعامل بها الصديق أفراد الأمة ويبين ذلك في أول خطاب له لكي يقف كل انسان عند حده ، فلا يعتدى أحد على أحد لأنه يعرف أنه سوف يؤخذ منه الحق ، وكيف لا ، والمتكلم بذلك الصديق الذى اذا قال فعل .

ثم قال : " لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله الا ضربهم الله بالذل " :

يخبر - رضي الله الله عنه - بسياسته الخارجية التي سوف يتخذها مع أعداء الله ورسوله ، ويشير الى أهمية الجهاد في سبيل الله ، وأنه لا يحصل العز والسؤدد الا بالجهاد في سبيل الله ، وعدم ايثار الحياة الفانية على الآخرة الباقية ، وأخبر - رضي الله عنه - ترك الجهاد مذلة ويجعل الأعداء يمدون أعناقهم وتتطلع عيونهم الى النيل من الدولة الاسلامية وأهلها .

ثم يعقب على ذلك بكلمة مناسبة حيث يقول : " ولا تشيع الفاحشة

في قوم الا عمهم الله بالبلاء " :

وحقيقة ما قاله الصديق ، فالمعاصي أسباب للمحن والفتن التي تصيب العباد والبلاد ، قال تعالى : ((وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ، ويعفو عن كثير)) .

ويقول جل وعلا : ((ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض)) (١) الآية .

وجاء بهذه الكلمة بعدما حثهم على الجهاد ليبين لهم أن الاستقامة على دين الله وعدم ارتكاب المعاصي وتطبيق حدود الله كاملة ، والوقوف عند أوامره ونواهيه هي السبب الأول والأخير في الانتصار على أعداء الله مهما كثرت عدتهم ومهما كثر عددهم ، وهذا وعد الله ولن يخلف الله وعده (٢) ، يقول سبحانه : ((ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز)) .

ثم يعقب على ذلك كله في آخر خطبته العظيمة بما يجب للحاكم تجاه أمته والعكس ، فيقول : " أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فان عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم " .

ولقد رسم الصديق منهجا ليس له فقط ، وانما لجميع أئمة المسلمين فانها تجب طاعتهم ما أطاعوا الله ورسوله ، واما اذا عصوه فلا طاعة لهم.

وحينما قال : " أطيعوني ما أطعت الله ورسوله " عطف طاعة الرسول على طاعة الله لكي يشعر أن من عصى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

---

(١) سورة سورة الأنعام ،آية : ٩٦ .
(٢) سورة الحج ،آية : ٤٠ .

فقد عصى الله جل وعلا ، يقول تعالى : ((من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا)) .

هكذا بدأ الصديق مسيرته الميمونة بهذا الخطاب الجامع ، ولنرى فيما يلي كيف أن أعماله جاءت مطابقة لأقواله - رضي الله عنه - .

ولنعلم أن خلافة الصديق زمنها قصير لم يتجاوز سنتين وثلاثة أشهر ومع ذلك فقد منّ الله على الأمة الاسلامية بخير كثير في هذه المدة القصيرة ، فقمع الله أهل الردة والكفر ، وفتح الله على المسلمين البلاد المترامية الأطراف ، وذلك نصر من الله سبحانه لهؤلاء الأبطال الذين أخلصوا لله دينهم وأعقبوا أقوالهم عملهم ، ولم تأخذهم في الله لومة لائم .

* أعماله في سبيل الدعـــوة .

أولا : محاربـة أهـل الردة :-

لقد حصلت فتنـة عظيمة بعد ما توفى رسول الله صلى الله عليه وســـــلم فقد حصلت ردة في الاسـلام في جميع انحاء الجزيرة العربية . ولكن الله جلّ وعلا قيّـض لهذه الردة أقوى الأمة ايمانا الا وهو أبو بكر الصديق رضـــي الله عنه وارضاه - ولقد كانت له مواقف عظيمة سوف نتعرض لها ، فكان قلبـه مفعما بالايمان فوثـق بنصر الله سبحانه فأعد الجيوش وحاسب المرتديـــن حتى ظهر دين الله وحفظ الله هذه الدعوة ببركة هؤلاء الابطال الذيـــن فدوا بأنفسهم فاستحلوا مرارة الموت في سبيل اعزاز دين الله وفي سبيـــل الشهادة ، ولقد نالوهما معا ، فدانت الرقاب وخضعت لأمر الله واعز الله دينه واظهر كلمته وأدحض أهل الردة والكفر .

ولو بحثنا عن اسباب الردة لوجدناها متعددة فأولها :- ضعـــف ايمان المرتدين فلم يتعمق الايمان في قلوبهم بعد ، ووفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان له أثرا كبيرا في نفوس الناس ، فبعضهم يظن أنه لو كان نبيا حقيقة لم يمت ، وبعضهم لم يظهر الايمان الا لكي يأمن على نفسه وأمواله ولكي يحقن دماء قومه ، فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ظنوا أنّه لن يقوم للمسلمين قائمة .

وعن هؤلاء يخبرنا سبحانه وتعالى : ((قالت الاعراب آمنا قل لـــم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولمّا يدخل الايمان في قلوبكم ، وان تطيعوا اللـه

ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا ان الله غفور رحيم)) (١) .

نزلت هذه الآية في بنو أسد اظهروا الاسلام في سنة مجدبة يريدون الصدقة فأمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم ان يرد عليهم فقال (قل لم تؤمنوا) أى لم تصدقوا تصديقا صحيحا من اعتقاد قلب وخلوص نيه وطمأنينة " (٢) .

ومن ناحية أخرى : فقد حرص بعض القبائل على أن يكون لهم سلطانا مثل ما كان لهم في الجاهلية ، فلما توفى الرسول صلى الله عليه وسلم ورأوا أن الخلافة سوف تنحصر في قريش تحركت عندهم النزعة القبلية مخافة أن يصبحوا خاضعين لسلطان قريش ، وممن يدعي النبوه الكذابون من استغل ذلك ايما استغلال لكي يصدقوهم الناس ويدخلوا تحت سلطانهم ، فأخذوا ينادون بأن قريشا تريد أن تستبد بهذا الأمر وأن تجعله متوارثا في أبنائها جيلا بعد جيل ، فتأثر كثير من الناس بهذه الاشاعات وانخدع فشق عصا الطاعة على خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم - ولقد كان للنزعة الجاهلية أثرا كبيرا في ارتداد كثير من الناس .

فهذا واحد من غطفان يقول لقومه : " ما أعرف حدود غطفان منذ انقطع ما بيننا وبين بني أسد ، وأني لمجدد الحلف الذى بيننا في القديم ومتابع طليحه ، والله لأن اتبع نبيا من الحليفين أحب الينا من أن نتبع نبيا من قريش ، وقد مات محمد وبقى طلحة ، فطابقوه على رأيه ، ففعل وفعلوا (٣) .

---

(١) سورة الحجرات ، الآية : (١٤) .
(٢) فتح القدير للشوكاني : ٥/٦٧ .
(٣) الطبرى : ٣/٢٥٧ .

وهذا طلحة النمري يسأل مسيلمة عن حالة فأخبره أنه يأتيه رجل في الظلمة . فقال أشهد أنك لكاذب وأن محمدا لصادق ،ولكن كذاب ربيعه أحبّ الينا من صادق مضر ، فقتل معه يوم عقرباء كافرا .(١)

وكان بعض المرتدين قد منع الزكاة فقط واعتبرها أبو بكر ردة ،وبعضهم ارتد عن الاسلام واتبع من ادعى النبوة حديثا ، وبعضهم ارتد الى الوثنية .

* موقف أبو بكر الصديق من حروب الردة .

لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبويع أبا بكر ، ارتد كثير من قبائل العرب المحيطة بالمدينة ، وتبع هؤلاء الذين ادعوا النبوة خلق كثير ، وعظمت المصيبة واشتد الحال بالمسلمين خصوصا بعد عزم الصديق على تنفيذ مسير جيش اسامة ولكن الصديق -رضي الله عنه- واجه هذه الأحداث بقوة الايمان والثقة بنصر الله .

وكان جيش اسامة قد عقد لواءه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأمّر اسامة عليه وأمره بالتوجه الى الشام ، فلما توفى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وارتدت العرب من حول المدينة رأى بعض الصحابة أن الخطر قد أحدق بالمدينة وأنه اولى بهذا الجيش - يعني جيش اسامه - ان يحمي المدينة ، ولا يخرج الى الشام في هذا الوقت الحرج .

وأخذوا يلحّون على أبي بكر ويقولون له : ان هؤلاء يعنون جيش اسامة جند المسلمين ، والعرب على ما ترى قد انتقضت بك فليس ينبغي

---

(١) الكامل لابن الأثير : ٢/٢٤٥ .

لك أن تفرق عنك جماعة المسلمين .

فقال أبو بكر : والذى نفسي أبي بكر بيده لو ظننت أن السباع تخطفني لانفذت بعث اسامه كما أمر به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولو لم يبقى في القرى غيرى لأنفذته !! (١)

قلت : يعتبر تسيير الصديق لجيش اسامه موقفا عظيما من المواقف التي وقفها ابو بكر - رضي الله عنه - حيث أنه مع كثرة الحاح كبار الصحابة في ابقاء هذا الجيش خوفا على المدينة من الخطر لم ينصاع لرأيهم ، وماذلك لبعد نظره وقوة بأسه وصرامته فهو يعلم أن هذا الجيش قد جهزه رسول الله بأمر من ربّه فهو سوف يتم أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وينفذ وصيته .

ومن ناحية أخرى ففي تسييره لهذا الجيش حرب معنوية ضد اعداءه من المرتدين فاذا رأوا أن اسامة قد مضى بالجيش علموا أنه لم يذهب الا وخلفه من سيحمي المدينة .

ومن ناحية ثالثة فانه يريد انفاذ هذا الجيش في أول خلافته لأن الذى عقد لواءه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وثقة منه في نصر الله وعلم أن انفاذ ذلك البعث سيكون فتحا للمسلمين .

ثم ان الصحابة لما رأو ان ابا بكر عازم على بعث جيش اسامة قالوا :

---

(١) الطبرى : ٣/٢٢٥ .

لعمر بن الخطاب : أبلغه أننا نطلب أن يولّي امرنا رجلا أقدم سننا من أسامة فوثب ابو بكر - وكان جالسا - فأخذ بلحية عمر فقال له : ثكلتك أمك وعدمتك يابن الخطاب : أستعمله رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وتأمرني أن أنزعه فخرج عمر الى الناس فقالوا له ماصنعت ؟ فقال : امضوا ثكلتكم أمهاتكم : ما لقيت في سببكم من خليفة رسول الله ! (١) .

ثم اراد أن يطبق لهم درسا عمليا يتعلق بطاعة الأمير ولو أنّه أصغر سنّا ممن أمّر عليهم .

فخرج أبو بكر حتى أتاهم في معسكرهم في الجرف ، فأشخصهم وشيعهم وهو ماش واسامة راكب وعبد الرحمن بن عوف يقود دابة أبي بكر ، فقال له أسامه : ياخليفة رسول الله ، والله لتركبن أو لأنزلن . فقال : والله لا تنزل ووالله لا اركب ، وما عليّ أن أغبّر قدمي في سبيل الله ساعة ، فان للغازى بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة تكتب له ، وسبعمائة درجة ترتفع له ، وتمحى عنه سبعمائة سيئة ، حتى اذا انتهى قال : ان رأيت أن تعييني بعمر فأفعل : فاذن له ثم قال يا أيها الناس : قفوا أوصكم بعشر فاحفظوها عني :-

لا تخونوا ولا تعلّوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلا صغيرا ولا شيخا كبيرا ولا امرأة ، ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا الا لمأكله ، وسوف تمرون باقوام قد فرّغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له ، وسوف تقدمون على قوم

---

(١) تاريخ الطبرى ٣/٢٢٦ ، الكامل لابن الأثير ٢/٢٢٧ .

يأتونكم بأنية فيها ألوان الطعام ، فاذا اكلتم منها شيئا بعد شيء فاذكروا اسم الله عليها ، وتلقون أقواما قد فحصوا أوساط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصائب ، فاخفقوهم بالسيف خفقا اندفعوا باسم الله .

وأوصى أسامة أن يفعل ما أمر به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فسار وأوقع بقبائل من ناس قضاعة التي ارتدت وغنم ، وعاد وكانت غيبته اربعين يوما ، وقيل سبعين يوما ، وكان انفاذ جيش اسامه أعظم الأمور نفعا للمسلمين . فان العرب قالوا : لو لم يكن بهم قوة لما ارسلوا هذا الجيش فكفوا عن كثير مما كانوا يريدون أن يفعلوه (١) .

قلت : والمتأمل في وصية أبي بكر لاسامة وجنده يدرك دهائه ومعرفته بقوانين الحرب . فلقد نهاهم عن الخيانة والغدر لأنها من اخلاق المنافقين ونهاهم عن الغلول (٢) لأنه لاغلول في الاسلام قال تعالى : ((ومن يغلل يأت بما غلّ يوم القيامة)) ونهاهم عن قتل الشيخ والطفل والمرأة لأن هؤلاء الثلاثة ليسوا من المحاربة ولن يقاوموا ، وليس من سيمة المسلمين أن يقتلوا هؤلاء . ثم نهاهم عن قطع الشجر المثمر ، وعن ذبح شاة أو بقرة وبعيرا الا في حدود الحاجة فقط لأن هذا اسراف واهدار للمال في غير وجه مشروع ثم نهاهم عن عبّاد النصارى الذين فرغوا انفسهم للعبادة في صوامعهم أن لا يقربوهم ثم اعلمهم بأنهم سيأتون على آنية أهل الكتاب وفيها ألوان من الطعام فأمرهم أن يذكروا اسم الله عليه . ثم أوصاهم بأن يخفقوا بالسيف

---

(١) الكامل لابن الأثير ٢/٢٢٦ ، ٢٢٧ .
(٢) الغلول : أخذ الشيء من الغنيمة خفية قبل القسمة .

رأس من وجدوه مستعدا لحربهم ، ولقد رسم أبو بكر الصديق رضي الله عنه منهجا لولي الامر اذا جهز جيشا بأن يوصيه بتقوى الله وما يراه مناسبا لأن ذلك رفع لمعوية الجيش وتقوية لعزيمة افراده .

* الصديق يشاور أصحابه في قتال المرتدين .

اجتمع الصديق - رضي الله عنه - بالصحابة يشاورهم في شأن المرتدين الذين منعوا الزكاة لكي يعلم ما يكمن في نفوسهم هل هو مطابق لما تكنّه نفسه أم ان القضية تحتاج الى نقاش ومشاورة وأخذ ورد .

فتكلم الصحابة مع الصديق في أن يتركهم وما هم عليه من منع الزكاة ، ويتألفهم حتى يتمكن الايمان في قلوبهم ثم هم بعد ذلك يزكّون فامتنع الصديق من ذلك وأباه .

وعن أبي هريرة أن عمر بن الخطاب قال لابي بكر : علام تقاتل الناس؟ وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - : " أمرت أن اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، فاذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحقها .

فقال أبو بكر والله لو منعوني عناقا وفي رواية : عقالا كانوا يؤدونه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها ، ان الزكاة حق المال ، والله لاقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة .(١)

---

(١) رواه البخارى في أول كتاب الزكاة ، ورواه مسلم في الايمان ، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا اله الا الله " .

قال عمر : فما هو الا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال ، فعرفت انه الحق .[1]

قلت : وفي مثل هذه المواقف يتبين ان الصديق - رضي الله عنه - كان أعلم الصحابة فلقد فطن لقوله صلى الله عليه وسلم " الا بحقها " فقال ان الزكاة حق المال - ثم ان الزكاة ركن من اركان الاسلام الخمسة فمن منعها فلا شك في ارتداده .

ومن بعد مقالة الصديق تلك شرح الله صدور صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم لهذا الامر وعرفوا أنه الحق ، وذلك ببركة أبي بكر الصديق حينما شاورهم في الأمر ثم أقنعهم انه رأيه هو الصواب ودعّم ذلك الرأى بالادلة التي جعلت الصحابة يقنعون به وينقادون لرأيه .

قلت : وهذا مما يدل على أهمية الشورى في الاسلام ، قال تعالى : ((وشاورهم في الأمر))[2] .

فلقد شاور أبو بكر الصديق أخوانه في ذلك الأمر وفي غيره متأسيا في ذلك برسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلقد كان يشاور أصحابه في كثير من الأمور وذلك تطييبا لهم فيما يفعلونه كما شاورهم يوم بدر في الذهاب الى العير فقالوا : يارسول الله لو استعرضت بنا عرض البحر لقطعناه معك ولو سرت الى برك الغماد لسرنا معك " . وشاورهم في أحد أن يقعد في المدينة أويخرج الى العدو ، فأشار جمهورهم بالخروج فخرج اليهم ، وشاورهم يوم

---

(١) البداية والنهاية : ٦/٣١٥ .
(٢) سورة آل عمران ، الآية (١٥٩) .

الخندق في مصالحة الاحزاب بثلث ثمار المدينة عامئذ فأبى عليه السعدان سعد بن معاذ ، وسعد بن عبادة فترك ذلك . وشاورهم يوم الحديبية في أن يميل على ذراري المشركين ؟ فقال له الصديق : انا لم نجيء لقتال (١)
وانما جئنا معتمرين ، الى غير ذلك من الامور الكثيرة التي شاورهم فيها .

وهذا مما يدل على أن الاسلام لا يقرّ الاستبداد بالرأى فيجب على ولي الأمر أن يشاور العلماء وأهل الحل والعقد ثم يعزم على مايراه مناسبا وما فيه الصالح العام سواء كان رأيه أو رأيهم ولا يقال انه اذا عزم على رأيه أنه استبداد كلّا وانما هو ربما انه نظر بمنظار بعيد لم ينظر به الآخرين فتبين له من الحق مالم يتبين لهم ففي مثل هذا الموقف نرى أن ابا بكر قد عزم على قتال أهل الردة من مانعي الزكاة مع أن رأى الصحابة يخالف ذلك لكنهم لما رأوا انه الصواب انصاعوا لأمره .

ومعنى قوله تعالى في الآية : ﴿(فاذا عزمت فتوكل على الله))﴾ .

يعنى اذا عزمت عقب المشاورة على شيء واطمأنت به نفسك فتوكل على الله في فعل ذلك . أى اعتمد عليه وفوض الأمر اليه .

وقيل : اذا عزمت فتوكل على الله لا على المشاورة . (٢)

---

(١) ابن كثير : ١/٢٤٠ .
(٢) الشوكاني : ١/٣٩٤ .

طريقته في حرب المرتدين

لما شرح الله صدر أبي بكر - رضي الله عنه - وشرح صدور أصحابه لحرب المرتدين بأنواعهم ، رسم - رضي الله عنه - لذلك خطة حربية تنجم عن فطنة وخبرة وثقة وايمان .

لما رد أبو بكر - رضي الله عنه - الوفود التي وفدت عليه تطلب منه الاعفاء من الزكاة رجعوا الى قومهم وأخبروهم بقلة من في المدينة وأطمعوهم فيها .

وسبحان ربي !! كأن الصديق أخبر بمقالتهم التي سوف يقولون لقومهم ، وكأنه أخبر بما سيدور في خلدهم ، فعرف - رضي الله عنه - أنهم سيغزون المدينة ويطرقونها سواء كان ذلك ليلا أو نهارا .

فأول حملة حربية قام بها - رضي الله عنه - هو أنه أمن المدينة ووضع حرسا على مداخلها .

فوضع عليا والزبير وطلحة وعبدالله بن مسعود على أنقاب[1] المدينة ، وأمر أهل المدينة بحضور المسجد ، وقال لهم : ان الأرض كافرة ، وقد رأى وفدهم منكم قلة ، وانكم لا تدرون أليلاً تؤتون أم نهارا ؟ وأدناهم منكم على بريد[2] ، وقد كان القوم يأملون أن تقبل منهم ونوادعهم ، وقد أبينا عليهم ونبذنا اليهم عهدهم ، فأستعدوا وأعدوا ، وفعلا حصل توقع القائد الكبير .

---

(١) أنقاب المدينة : أى مداخل المدينة .
(٢) البريد : قدر معين من المسافة .

فما لبثوا الا ثلاثا حتى طرقوا المدينة غارة من الليل ، وخلفوا بعضهم بذى حسى (١) ليكون لهم ردءا .

وأرسل الحرس الى أبي بكر يخبرونه الخبر ، فبعث اليهم أن الزموا مكانكم ، وخرج أبو بكر في أهل المسجد على النواضح اليهم ، فانفش العدو وأتبعهم المسلمون على ابلهم حتى بلغوا ذا حسى ، فخرج عليهم الردء بأنحاء قد نفخوها ، وجعلوا فيها الحبال ثم دهدهوها بأرجلهم في وجوه الابل ، فنفرت ابل المسلمين وهم عليها ، ولا تعفر الابل من شيء نفارها من الانحاء ، فعاجت بهم ما يملكونها حتى دخلت بهم المدينة (٢) ، فلم يصرع مسلم ولم يصب .

فلما وقع ما وقع ظن القوم بالمسلمين الوهن ، وبعثوا الى عشائرهم من نواحي أخر ، فاجتمعوا ، وبات أبو بكر - رضي الله عنه - قائما ليله يعبىء الناس ، ثم خرج على تعبئة من آخر الليل ، وعلى ميمنته النعمان ابن مقرن ، وعلى الميسرة أخوه عبدالله بن مقرن ، وعلى الساقة أخوهما سويد بن مقرن ، فلما طلع الفجر الا وهم والعدو في صعيد واحد فما سمعوا للمسلمين حسا ولا همسا ، حتى وضعوا فيهم السيوف ، فما طلعت الشمس حتى ولوا الأدبار (٣) ، وغلبوهم على عامة ظهرهم ، وقتل حبال وأتبعهم أبو بكر حتى نزل بذى القصة .

وكان هذا أول الفتح ، وذل به المشركون ، وعز به المسلمون ، ووثب بنو ذبيان وعبس على المسلمين الذين كانوا فيهم فقتلوهم ، فحلف أبو بكر

---

(١) وهذا تعبير عن قربهم .
(٢) تاريخ الأمم والملوك (٣/٢٤٥) .
(٣) حبال ابن طليحة .

ليقتلن من كل قبيلة ممن قتلوا من المسلمين وزيادة .(١)

قلـــــــت :

وكانت هذه المعركة التي خطط لها وقادها القائد العظيم أبو بكر الصديق ، ذلك الرجل الشجاع الذى أبت عليه نفسه ألا يساويها بالقوم ، فخرج معهم وخطط لهم ، وفتح الله على يديه ذلك الفتح العظـــيم ، فهزم القوم وبدأت معنوية المسلمين ترتفع وأصبح عندهم ثقة بأنفسهم ، لمـــا رأوا بوارق النصر تلوح .

ثم جاء النصر يعقبه النصر فالنصر .

فبعد هذا الفتح العظيم جاءت البشرى يبشرون بمقدم الصدقـــات الى المدينة ، فطرقت المدينة في الليل صدقات عدى بن حاتم ، وصفـــوان والزبرقان ، احداها في أول الليل ، والثانية في أوسطه ، والثالثة فـــي آخـــره .(٢)

وهذه الأموال التي وفدت الى المدينة ستكون عونا لهم بعد اللـــه جل وعلا في التعبئة ضد عدوهم ، وستقوى شوكتهم بالله ثم بها ، ومـــا ان كان المسلمون يعيشون هذه الأيام فرحين جذلين بنصر لهم على عدوهم، في أول لقاء معه وفرحين بتلك الأموال التي جاءت اليهم ما لبثـــوا أن غمرتهم الفرحة الكبرى والنصر المؤزر والفتح المبين وذلك بمقدم أسامة بـــن زيد على رأس جيشه الذى بعثه أبو بكر منذ ستين يوما تقريبا ، جـــاء

---

(١) البداية والنهاية (٦/٣١٧ - ٣١٨) بتصرف .
(٢) المرجع السابق (٦/٣١٨) .

اليهم رضي الله عنه وهو شاهرا أعلام النصر والفتح المبين الذى فتحه الله على يده ، فلقد حقق أروع الانتصارات ، ففرحوا بذلك واستبشروا خيرا ، ثم فرحوا به من ناحية أخرى وهو أنه سيكون عونا لهم في عضد شوكة الأعداء الذين يتربصون بأهل المدينة .

ولنرى الخطة الحربية التي رسمها خليفة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لكي تكون على دراية من بعد نظره وحسن ادارته ، وقوة عزيمته ، كل ذلك يتبين لك ذلك اذا تتبعت الخطط التي قام بها وكيف أنه جعل كل واحدة تلو الأخرى في مكانها المناسب .

فلما رجع جيش أسامة المنتصر خلفه على المدينة لحماية ظهور المسلمين من الأعداء المحتمل اعتدائهم ، وفي هذا راحة للجيش وقائده ، لأنه جاء من مسافة بعيدة وشاقة ، وبعد معارك صارمة خاضها مع الروم ، فرأى - رضي الله عنه - أن يبقى الجيش في المدينة ،

هذه هي الخطوة الأولى .

ثم عزم - رضي الله عنه - على تجهيز الجيوش ضد المرتدين ، فخرج شاهرا سيفه الى ذى القصة (١) ، فلما رآه الصحابة ، قال له بعضهم: ومنهم علي بن أبي طالب " جاء فأمسك بزمام راحلته ، فقال : الى أين يا خليفة رسول الله ؟ أقول لك ما قال لك رسول الله يوم أحد : " شم سيفك ، ولا تفجعنا بنفسك ، فوالله لئن أصبنا بك لا يكون للاسلام بعدك نظام أبدا " .

---

(١) مكان بقرب المدينة .

حقا ان علي بن أبي طالب لم يقل هذه الكلمات من فراغ ، لأنه يعلم تمام العلم أن أبا بكر هو الذى يصبر لمثل هذه الملمات العظيمة .

ولكن خليفة رسول الله أراد أن يضرب المثل العظيم للقائد المثالي المسلم ، فأبى الا أن يخرج ، فخرج الى ذى القصة مريدا ابرام الخطة الحربية العظيمة ،

ثم أخذ قائدنا العظيم ينخل جنوده !! وهو أعلم بأحوالهم ، فاختار له أحد عشر قائدا ، وعقد لكل قائد لواء .

وهو يعلم تمام العلم أن اختياره للقادة الأكفاء سيكون سلما للنصر باذن الله ، ثم انه - رضي الله عنه - رأى أن تندفع هذه الألوية دفعة واحدة ، وتنطلق من نقطة واحدة في وقت واحد ، ولم يحصل ذلك لأبي بكر صدفة !! وانما بتوفيق من الله له ، فهو يعلم كيف يرهب الأعداء ، ويعلم أبو بكر أن انطلاق جيوشه في أنحاء الجزيرة دفعة واحدة سيكون له صوتا مدويا في جميع أقطار المعمورة .

فعقد - رضي الله عنه - احدى عشر لواء ، وجعل على كل لواء قائدا كما يلي :

١- عقد لخالد بن الوليد وأمره بقتال طليحة بن خويلد الأسدى ، فاذا فرغ منه سار الى مالك بن نويرة بالبطاح ان أقام له .

٢- وعقد اللواء الثاني وجعل أميره - عكرمة بن أبي جهل - ووجهه لليمامة حيث يوجد مسيلمة الكذاب في بني حنيفة .

٣- وعقد اللواء الثالث وجعل أميره المهاجر بن أبي أمية ، وأمـــره بجنود العنسى ومعونة الأبناء على قيس بن المكشوح ومن أعانه من أهل اليمن عليهم ، ثم يمضي الى كندة بحضرموت .

٤- وعقد اللواء الرابع وأمر عليه شرحبيل بن حسنه ، وأمره بالانجـــاه الى اليمامة كدعم لعكرمة بن أبي جهل ، ومن ثم يتجه الى قضاعة على حدود الشام .

٥- وعقد اللواء الخامس بقيادة حذيفة بن محصن الغطفاني ، وأمـــره بأهل دبا على بحر فارس ،

٦- وجعل عرفجة بن هرثمة أميرا على اللواء السادس وأمره بقتال أهـــل مهره .

وأمر الصديق بأن يجتمع لواء حذيفة ولواء عرفجة لكي تتحد قوتهمـــا ويكون كل واحد منهما مطيعا لصاحبه .

٧- وعقد اللواء السابع وجعل أميره سويد بن مقرن ، وأمره بتهامة اليمن .

٨- وعقد اللواء الثامن بقيادة العلاء بن الحضرمي ، وجعله يتجه لقتال المرتدين في البحرين .

تلك الألويـة الثمانية وجههـا الصديق ـ رضي الله عنه ـ الى جنـــوب الجزيرة لكثرة المرتدين فيها وقوتهم .

وعقد الثلاثة الألوية الباقية ووجههـا ـ رضي الله عنه ـ الى شمال الجزيرة .

٩- فعقد لواء تاسع وجعل امارته لعمرو بن العاص وأمره بالتوجه الى قضاعة وودیعة والحارث .

١٠- وعقد لواء عاشرا وجعل قيادته طرفة بن حاجب ووجهه لبني سليم ومن معهم من هوازن .

١١- وعقد اللواء الحادی عشر بقيادة خالد بن سعيد بن العاص ووجهه الى مشارف الشام (١) .

قلت :

وهذا دليل على التخطيط السليم ، فان عقد هذه الألوية وانطلاقاتها الى أنحاء الجزيرة جنوبا وشمالا لمحاربة المرتدين عن دين الله لهو مظهر من مظاهر القوة ، ومما يبعث الرهبة في قلوب الأعداء الذين بجوار المدينة والذين هم نازحون عنها .

ذلك لأنه بعث الألوية الثمانية الى جنوب الجزيرة حيث كانت الردة قد بلغت أوجها ، والمرتدون أكثر عددا وأقوى بأسا .

وأما الثلاثة الألوية الباقية فقد توجهت شمال الجزيرة ، وراعى أن يكون قادة الألوية من الذين لهم خبرة بالحرب ، وجلد على قتال الأعداء .

---

(١) تاريخ الطبری (٣/٢٤٩) ، بن الأثير (٢/٢٣٤) .

* خطابه الى عامة الناس .

لما عقدت الألوية رجع أبو بكر الى المدينة وكتب خطابا يبين فيه فحوى ما يريده من المسلمين خطاب من هذا الداعية العظيم الى جميع الناس لكي يكونوا على بصيرة من أمرهم فمن أسلم اسلم ومن أبى فالله وجنوده له بالمرصاد .

وهذا هو خطابه رضي الله عنه : " من أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ((الى من بلغه كتابي من عامة وخاصة أقام على اسلامه أو رجع عنه ، سلام على من اتبع الهدى ، ولم يرجع بعد الهدى الى الضلالة والعمى فاني أحمد اليكم الله الذى لا اله الا هو ، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، نقر بما جاء به ، ونكفر من أبى ذلك ونجاهده .

أما بعد : فان الله أرسل محمدا بالحق من عنده الى خلقه بشيرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ، لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين ، فهدى الله بالحق من اجاب اليه ، وضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم من أدبر عنه حتى صار الى الاسلام طوعا وكرها ، ثم توفى الله رسوله صلى الله عليه وسلم ، وقد نفذ لأمر الله ، ونصح لأمته ، وقضى الذى عليه ، وكان الله قد بين له ذلك ولأهل الاسلام في الكتاب الذى أنزل فقال تعالى : ((أنك ميت وانهم ميتون))(١) وقال : وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفان مت فهم الخالدون))(٢) وقال للمؤمنين : ((وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افان مات أو قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزى الله الشاكرين)) فمن كان انما يعبد محمد فان محمدا قد مات ، ومن

---

(١) سورة الزمر ، الآية (٣٠) .
(٢) سورة الانبياء ، الآية (٣٤) .

كان انما يعبد الله فان الله حي لا يموت ، ولا تأخذه سنة ولا نوم ، حافظ لأمرة منتقم من عدّوه ، واني أوصيكم بتقوى وحظكم ونصيبكم من الله وما جاء به نبيكم صلى الله عليه وسلم ، وان تهتدوا بهداه ، وان تعتصموا بدين الله ، فان كل من لم يهده الله ضال ، وكل من لم يعينه الله مخذول ، وكل من لم يعافه مبتلى - فمن هداه الله كان مهتديا ، ومن أضله كان ضالا قال الله تعالى : ((من يهد الله فهو المتهدى ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا))(١) ولم يقبل منه في الدنيا عمل حتى يقرّبه ، ولم يقبل منه في الآخرة صرف ولا عدل ، وقد بلغني رجوع من رجع منكم عن دينه بعد أن أقر بالاسلام وعمل به اعتزا لا بالله وجهلا بأمره واجابة للشيطان " قال الله تعالى : ((واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه افتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا))(٢) وقال تعالى : ((ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير))(٣) واني بعثت اليكم فلانا في جيش من المهاجرين والانصار والتابعين لهم باحسان ، وأمرته أن لا يقاتل احدا ولا يقتله حتى يدعوه الى داعية الله ، فمن استجاب له وأقرّ وكفّ وعمل صالحا قبله منه واعانه عليه ، ومن أبى امرت أن يقاتله على ذلك ، ثم لا يبقي على أحد منهم قدر عليه ، وان يحرقهم بالنار ويقتلهم كل قتله ، وان يسبى النساء والذرارى ، ولا يقبل من أحد غير الاسلام ، فمن أتبعه خير له ، ومن تركه فلن يعجز الله ، وقد أمرت رسولي أن يقرأ كتابي في كل مجمع لكم ، والداعية الآذان ، فاذا اذن المسلمون

---

(١) سورة الكهف ، الآية : (١٧) .
(٢) سورة الكهف ، الآية : (٥٠) .
(٣) سورة فاطر ، الآية : (٦) .

فأذنوا كفوا عنهم ،وان لم يأذنوا عاجلوهم وان أذّنوا فسلوهم ما عليهم[1] ، فان أبو عاجلوهم[2] ، وان اقروا قبل منهم ، وحطهم على ماينبغي له لهم .انتهى

قلت : وهذا الكتاب فيه أساليب للدعوة متعددة فهو يدعوهم بالموعظة الحسنة الى الاسلام ثم يتدرج معهم حتى يصل بهم الى درجة القتال اذا أبو دفع جزية للمسلمين أو زكاة ، ثم أنه من تسامحه رضي الله عنه قال : فان اقروا فاحطوهم على ماينبغي لهم وهو التوحيد يعني صدقوهم فان خالف فعلهم قولهم فعليكم بهم .

وانطلقت الجيوش على بركة الله وكتاب الصديق معهم يقرأونه في كل مجمع، ولقد بعث الصديق -رضي الله عنه -الى كل أمير لواء بخطاب يناسبه ويلائمه ويخبره بخط سيره في المعركة ، وماهي الطريقة التي يسلكها وأخبرهم بما يعلمونه بالغنائم ، وحذرهم من العجلة والفساد تأسيا بقوله تعالى : ((ان الله لا يصلح عمل المفسدين))[3] ثم حذر القادة من أمر لا تحمد مغبته وهو أن يدخل جيشهم " الحشو " الذين لا يعرفون ، فربما يكونوا عيونا لئلا يوتى المسلمين من قبلهم ، ثم أمر القادة بالرفق بالمسلمين في السير والمنزل ، وبتفقدهم ولا يعجل بعضهم عن بعض وامرهم بأن يستوصوا بالمسلمين في حسن الصحبة والقول ، لكي تتآلف قلوبهم وترتاح نفوسهم وهو الذى -رضي الله عنه - يفهم معنى قوله تعالى : ((ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فأعف عنهم واصفح))[4] .

---

(١) يقصد الزكاة .
(٢) تاريخ الطبرى : ٣/٢٥٠ ، ٢٥١ .
(٣) سورة يونس ، الآية : (٨١) .
(٤) سورة آل عمران : الآية (١٥٩) .

حقيقة أنها وصايا كالدرر صدرت من رجل يعرف معناها وأهميتها وهذا نص كتابه الى القادة :

بسم الله الرحمن الرحيم " هذا عهد من أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم - لفلان حين بعثه فيمن بعثه " لقتال من رجع عن الاسلام ، وعهد اليه أن يتقي الله ماستطاع في امره كله سره وعلانيته ، وأمرة بالجد في أمر الله ومجاهده من تولى عنه ورجع عن الاسلام الى اماني الشيطان بعد أن يعذر اليهم فيدعوهم لداعية الاسلام فان أجابوا فأمسك عنهم ، وان لم يجيبوه شن غارته عليهم حتى يقروا له ، ثم ينبئهم بالذى عليهم والذى لهم ، فيأخذ وماعليهم ويعطيهم الذى لهم ، لا ينظرهم ، ولا يرد المسلمين عن قتال عدوهم ، فمن أجاب الى أمر الله عز وجل وأقر له قبل ذلك منه واعانه عليه بالمعروف وانما يقاتل من كفر بالله على الاقرار بما جاء من عند الله ،فاذا أجاب الدعوة لم يكن عليه سبيل ، وكان الله حسيبه بعد فيما استسر به ، ومن لم يجب داعية الله قتل وقوتل حيث كان ، وحيث بلغ مراغمه لا يقبل من أحد شيئا اعطاه غير الاسلام ، فمن أجابه واقر قبل منه وعلمه ، وان أبي قاله ، فان أظهره الله عليه قتل منهم كل قتله بالسلاح والنيران ، ثم قسم ما افاء الله عليه الا الخمس فانه يبلغناه ، وأن يمنع أصحابه العجلة والفساد ، وان لا يدخل فيهم حشوا حتى يعرفهم ، ويعلم ما هم لا يكونوا عيونا ، ولئلا يؤتى المسلمون من قبلهم ، وان يقتصد بالمسلمين ويرفق بهم في السير والمنزل ويتفقدهم ولا يعجل بعضهم عن بعض ، ويستوصي بالمسلمين في حسن الصحبة ولين القول .

قلت : وسارت هذه الجيوش التي قد تسلح قادتها وجنودها بالايمان

العميق ساروا بعد أن ودعهم أبو بكر الصديق حينما عزموا عليه أن يرجع الى المدينة لادارة الدولة فانصاع لأمرهم ، ساروا وهم قد جعلوا نصائح الصديق -رضي الله عنه- امام اعينهم - ساروا وهم واضعون أرواحهم على أكفهم واثقين بالنصر من الله جلّ وعلا ومصيرهم محدد اما النصر واما الشهادة وكليهما مغنم لا بعده مغنم ، وأنطلقوا على بركة الله وكل من تلك الجيوش قد أدى مهمته التي بعث من أجلها وكل منهم قد أبلى بلاءا حسنا ، واصعب ما كان من المعارك في حروب الردة هي معركة اليمامة . تلك المعركة التي قاد جيوش الكفار فيها مسليمة الكذاب وقاد جيوش المسلمين فيها البطل المقدام سيف الله المسلول " خالد بن الوليد " تلك المعركة التي انتهت بالانتصار الحاسم للاسلام والمسلمين وقطع دابر الردة والفساد فلم تقم للمرتدين قائمة بعدها .

قلت : ولو تلمسنا الأسباب التي جعلت المسلمون ينتصرون في حروب الردة لوجدناها متعددة وكثيرة ولكن من أهمها : -اجتماع كلمتهم وعدم الفرقة : فلقد اكرمهم جلّ وعلا من أول يوم انتقل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جوار ربه فلم شملهم وجمع كلمتهم وألف بين قلوبهم فكانوا على قلب واحد قائدهم واحد يدا واحدة .

تأبى الرماح اذا اجتمعن بكسرا واذا افترقن تكسرت آحادا .

ومن الأسباب ايضا التي جعلت المسلمون ينتصرون : ان وفقهم الله لانتخاب ذلك القائد المظفر الملهم الذى تلقى الاحداث بصدر رحب

وبايمان قوى يدك الجبال ، ذلك الرجل الذى لم يبخل بشىء حتى بنفسه التي بين جنبه فلقد خرج شاهرا سيفه الى قتال المرتدين فخاض أول معركة معهم في ذى القصة فأحرز انتصارا كبيرا بعث في النفوس الامل ويرفت من تحته يوارق النصر .

ومن الأسباب أيضا : اتباع ما أمر الله به واجتناب ما نهى الله عنه ، وهذا بلا شك من أقوى الاسباب في جعل المسلمين ينتصرون وتلك سنة الله الباقية ولن تجد لسنته تحويلا ولن تجد لسنة الله تبديلا فاستقاموا على طاعة الله واجتنبوا معاصيه فاكرمهم سبحانه بأن نصرهم لأنه قد وعدهم بقوله سبحانه : ((ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز)) .

ومن الأسباب أيضا : تلك الخطة الحربية الموفقة التي خطط لها الصديق بتوفيق من الله له فعقد الالوية وجعلها تنطلق دفعة واحدة من نقطة واحدة مما أرهب القلوب وزاد في هيبة المسلمين . ثم أنه قبل ذلك قبل وضع الحرس على انقاب المدينة ، وجعل جيشه في تعبئة تامة مستعدة لاول هجوم يحصل ، ولقد حصل ما توقعه - رضي الله عنه - ولكن الله سلم المسلمين وانقذهم ونصرهم .

ومن الاسباب أيضا معرفة المصير .

فكل مسلم قد انضوى تحت هذه الالوية يعرف مصيره فيعرف انه لابد من حصول احدى الحسنين اما النصر والاجر والغنيمة واما الشهادة وهي أمنيته التي يتمناها ويطلبها وفعلا لقد بان ذلك من أقوال هؤلاء الابطال رضي الله عنهم : - فهذا زيد بن الخطاب يقول في معركة اليمامة يريد أن

يبعث الحماس في نفوس القوم ويريد أن يضرب المثل الأعلى للمسلم المجاهد في سبيل الله يقول رضي الله عنه : " أيها الناس عضّوا على اضراسكم واضربوا في عدوكم وامضوا قدما فوالله لا اتكلم حتى يهزمهم الله أو القى الله فأكلمه بحجتي .

وقال المهاجرون لسالم مولى أبي حذيفة : اتخشى أن نؤتي من قبلك فقال : "بئس حامل القرآن انا اذا "!! (١) - لأنه يعرف ويحفظ قول الله تعالى : ((يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار ... الآية)) تلك العقيدة التي تغلغلت في قلوبهم جعلتهم يركبون الاخطار ويتعرضون للموت غير عابئين بذلك !!

وفوق هذه الأسباب كلها : نصر الله جلّ وعلا وتأييده لهم هو الذى عليه المعوّل فهو الذى ثبتهم وقذف الرعب في قلوب اعدائهم وامدهم بالعون والتأييد لأنهم رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه .

وانتهت هذه الردة الشعواء وكفى الله دعوة الاسلام شرها ووفق المسلمين وعلى رأسهم قائدهم المظفر أبو بكر الصديق لوئد هذه الردة وهي في مهدها .

ولقد كان لانتصار المسلمين في حروب الردة صدى داخل الجزيرة وخارجها فعرف الناس أن هذا الاسلام له صولة وجوله وانه سوف يعلو ولا يعلى عليه ، لأنه اتضح لهم تلك الانتصارات الباهرة زمن حياة الرسول وبعد وفاته .

---

(١) البداية والنهاية : ج : ٦ ص : ٣٢٩ .

ومن آثار انتصار المسلمين في حروب الردة أن جمع كلمة الأمة العربية تحت قيادة واحدة بعد أن كانت ممزقة تدعو بدعوى الجاهلية المحقونة .

و من آثار انتصارهم ايضا قويت معنوية المسلمين فتمسكوا باسلامهم وثبتوا على عقيدتهم وعرفوا أنهم على الحق وان غيرهم على الباطل .

ومن آثار انتصار المسلمين في حروب الردة أيضا أن بان للناس قدرة أبو بكر وانه أهل للخلافة وأهل للقيادة وأهل للمسئولية فهو الذى بت في الامور وهو الذى عالجها بحكمة وثبات جأش وقوة ايمان ومن الآثار أيضا أن هدئت الفتن فاصبحت الفرصة مواتية لنشر الدعوة خارج شبه الجزيرة وهذا مايتمناه أبو بكر والمسلمين فانتشرت الدعوة بفضل الله في جميع اقطار المعمورة وظهر نور الله سبحانه فلله الحمد والمنة .

ومن آثار انتصار المسلمين أيضا أن اشرأبت الاعناق الى اعتناق ذلك الدين القيّم فأصبحت الدول المجاورة تتلهف شوقا الى اعتناقه والخروج من استبداد الامبراطوريات الفرسية والرومية ولقد تم ذلك بفضل الله تعالى .

من خلال ماسبق رأينا الدور الكبير الذى كان للصديق رضي الله عنه في عز الاسلام والمسلمين وقمع الكفرة والمرتدين .

رأينا كيف علاج المواقف بحكمته وجعل كل شيء في مكانه المناسب ،

وعرفنا قوته المعنوية التي جعلته يسير الجيوش والخطر محدق به وبالمسلمين .

ففي مدة قصيرة فتح الله على يديه ودانت الجزيرة وما حولها خاضعة لأمر الله عائدة الى الاسلام من جديد .

فلو لم يكن من الفضل لأبي بكر في الدعوة الا قتاله للمرتدين لكفاه ذلك شرفا وفضلا .

ولكنه لم يقتصر على هذا فكان كل أمره دعوه أحيانا بلسانه ،وأحيانا بأفعاله . فرضي الله عنه وارضاه جزاء ما قدمه للاسلام والمسلمين .

٢ - ومن أعماله الجليلة - رضي الله عنه .

جمع القرآن :-

لمّا انتهت معركة اليمامة بمقتل مسيلمة الكذّاب - لعنه الله - واستشهاد كثير من قراء الصحابة في هذه المعركة ، خاف المسلمون ان يموت بقية الحفظة والقراء فرأو من الاصلح أن يجمع القرآن من صدور الرجال وان يثبت بالكتابة وعلى رأس من رأو هذا الرأى " عمر بن الخطاب " - رضي الله عنه - فأشار على أبي بكر بهذا الرأى ولكن أبو بكر لم ينصاع لرأيه في أول الأمر ، وذلك تورعا منه - رضي الله عنه - أن يقدم على عمل لم يقدم عليه الرسول - صلى الله عليه وسلم - من قبل ، ولكن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - الح عليه فشرح الله صدر أبي بكر لذلك .

روى البخارى في صحيحه : عن زيد بن ثابت قال : أرسل الىّ أبو بكر مقتل أهل اليمامة ، فاذا عمر بن الخطاب عنده ، فقال : ان عمر اتاني فقال : ان القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن وانىّ أخشى ان يستحر القتل بالمواطن فيذهب كثير من القرآن ، وانىّ أرى أن تأمر بجمع القرآن ، قلت لعمر : كيف نفعل شيئا لم يفعله رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فقال عمر : " والله ان هذا خير ، فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدرى لذلك ، وقد رأيت في ذلك الذى رأى عمر .

قال زيد : وقال أبو بكر : انّك رجل شاب عاقل لا اتهمك ، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم - فتتبع القرآن وأجمعه .

قال زيد : فوالله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان بأثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن ، قلت : كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله - صلى الله عليه وسلم -؟ فقال : هو والله خير ، فلم يزل يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبو بكر وعمر فتتبعت القرآن أجمعه من العسب(١) واللخاف(٢) وصدور الرجال ، حتى وجدت آخر التوبة ((لقد جاءكم)) مع أبي حزيمة الانصاري الذي جعل النبي صلى الله عليه وسلم شهادته بشهادة رجلين لم أجدها مع أحد غيره فألحقتها في سورتها ، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ، ثم عند عمر حتى قبض ثم عند حفصة بنت عمر(٣) .

وروى عن علي انه قال : رحم الله أبا بكر ! هو أول من جمع بين اللوحين(٤) .

فان قيل : كيف لم يفعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذلك ؟ قيل : لأن الله تعالى قد امنه من النسيان بقوله : ((سنقرئك فلا تنسى . الا ماشاء الله)) ان يرفع حكمة بالنسخ ، فحين وقع الخوف من نسيان الخالق حدث مالم يكن فاحدث بضبطه مالم يحتج اليه ذلك(٥) .

قلت : ولقد وفق الله أبو بكر للسبق الى هذه الفضيلة حيث أمر بجمع ذلك القرآن العظيم التي فيه جميع احكام الشريعة ، وكان ذلك من حفظ الله لكتابه فلقد تكفل سبحانه بحفظه من الضياع وبحفظه من تحريف المحرفين وزيف

---

(١) العسب : جريد النخل اذا أبعد عنه خوصه .
(٢) اللخاف : حجارة بيضاء عريضة رقيقة مفردها لخفة .
(٣) رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن .
(٤) البرهان في علوم القرآن للامام الزركشي : ١/٢٣٩ .
(٥) البرهان : ١/٢٣٨ .

المبطلين فالحمد لله رب العالمين ، القائل : ((انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون))[1] .

---

(١) سورة الحجر ، الآية : (٩) .

* فتوحاتـــه :

لقد نوة الصديق رضى الله عنه ـ من أول يوم تولى فيه الخلافـة بأن الجهاد من أهم الامور فى حياة المسلمين ، وانه ماترك قوم الجهـاد الا ذلوا فلما أخمد الله نار الفتنة وهدأت الاوضاع ودخل الناس مرة أخـرى فى دين الله أفواجا اشرأبت نفس الصديق الى الجهاد فى سبيل اللـه تاقت نفسه الى اعلاء كلمة الله فى جميع أقطار المعمورة .

أراد رضى الله عنه ـ ان يتابع الدعوة التى بدأها رسول الله صلـى الله عليه وسلم فلقد كتب عليه الصلاة والسلام الى ملوك فارس والروم يدعوهم الى عبادة الله فأراد الصديق ان يجيبوا الى ذلك ،اراد تحرير تلـك الشعوب من نير الفرس والروم لأن نفوس شعوبهم تاقت الى الاسلام ولكـن استعباد ملوكهم لهم بالقوة ملك عليهم كل شىء فجاء المسلمون الى تلـك التلاد فاتحين ولاعتاق العباد من عبادة الناس الى عبادة رب الناس .

ولم يكن امـر الصديق بالجهاد قد أتى من فراغ وانما هو يحفـظ القرآن الكريم ويفهم معانيه فهو يقرأ قول الله تعالى ((يا أيها الذيـن آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة وأعلموا ان الله مـع المتقين)) (١)

فحرب المسلمين تلك انما هى دفاعا عن الحق وحماية لكيان المسلمين ولم يكن هدف الصديق من تلك الفتوحات الا نشر الاسلام واعلاء كلمة اللـه وجعلها تخفق فى الآفاق ، ولم يكن هدفه اصابة مغنم أو استعمار بلاداعاذة من ذلك وهكذا كان المسلمون ايضا ، فهذا خالد بن الوليد لما دعا أهل

(١) سورة التوبة ، آية : ١٢٣ .

الحيرة الى الاسلام فأبوا وطلبوا الجزية لم يفرح بذلك وانما قال لهـــم " تبا لكم ان الكفر فلاة مضلة ، فاحمق العرب من سلكها " فتبا لبعـــض المغرضين والحاقدين على الاسلام الذين يقولون انا لهدف الاول عنـــد المسلمين من جهاد الكفار ، هو جمع الغنائم وهذا يعيد عن الصواب .

ولكن المعروف عن المسلمين أنهم قد زهدوا في الدنيا ورغبوا فى الآخرة الباقية ولسان حالهم ينطق بذلك .

وعلى بركة الله سارت الجيوش بأمر من خليفة رسول الله ناشرين للاسلام وداعين له حتى فتح الله عليهم فأستهدفوا دولة الفرس أولا .

أولا : ابتداءه بقتال دولة الفرس :

لقد كان لاختيار أبى بكر لقتال الفرس أولا قبل غيرهم أسباب برزت ذلك وهم أنهم وقفوا موقف العداء من الدولة الاسلامية ، وحرضـــوا كثيرا من القبائل القريبة منهم على الارتداد والتمرد ، فكان لزاما على الصديق ان يستهدفهم أولا وأنه يأدبهم كتأديب رسول الله صلـــى الله عليه وسلم ليهود بنى قريضه لما خانوا عهده وظاهروا المشركين عليـــه .

ثم أنه فى مخيلته وهو عين الحقيقة والصواب ان الفرس ليسوا علـــى مستوى دولة الروم وانما هم أضعف فأراد أن يبدأ بهم لكى يستعين بمـــن سينضمون الى صفوف المسلمين اذا تحرروا من بطش الفرس وفعلا لقد حصل ذلك ولا شك ان المسلمين اذا استطاعوا كسر شوكة الفرس فانها ستعظـــم ثقتهم بأنفسهم وسيكون حافزا لهم على مواصلة الجهاد وكذلك الروم سيلقـــى

ذلك فى قلوبهم الرعب فيكون ذلك تمهيدا لهزيمتهم .

ومن ناحية أخرى فقد فتحت جيوش المثنى بن حارثة جبهة لقتال الفرس فكان البدء بقتال الفرس قبل غيرهم أمر يفرضة الواقع .

فسارت جيوش المسلمين حسب ماارشدهم اليه ابو بكر الصديق رضى الله عنه كل لواء قد عقد عليه قائدا ولقد فتح الله عليهم بلاد فارس بعد معارك استبسل فيها المسلمون فلله الحمد والمنه .

* ثانيا : حروب المسلمين مع الروم :

لاشك ان دولة الروم فى ذلك الوقت تعد من أعظم الدول وأقواها سيطرة وكان يحصل بينهم وبين الفرس حروبا طاحنة ، ويغلبونهم الروم فى أكثر الأحيان الا أنه اذا كان الهدف حرب الاسلام وأهله فانهم يدا واحدة ، وقد رأى الروم مافعل الله بالفرس بأيدى هؤلاء الابطال المسلمين ، فأصبحوا يعدون عدتهم ويحشدون قواهم من هذا الخطر الذى اصبح يهددهم فى عقر دارهم ولقد كان لهم معهم سابق لقاء وذلك غزوة تبوك والتى فيها نزلوا على صلح رسول الله صلى الله عليه وسلم — ودفعوا الجزية له .

لما سمع الروم بزحف المسلمين تحالفوا مع الفرس واجتمعوا فى مكان يقال له" الفراض" [1] وكذلك استعانوا بمن يواليهم من العرب كتغلب واياد ، والنمر وساروا الى خالد . فلما بلغوا الفرات قالوا له ، أما ان تعبروا الينا واما أن نعبر اليكم ، فقال : خالد اعبروا .

(١) موضع على نخوم الشام والعراق والجزيرة فى شرقى الفرات .

فعبرت جيوش الروم والفرس ثم اقتتلوا مع المسلمين قتالا عظيما أسفر عن هزيمتهم شر هزيمة وأمر خالد ـ رضى الله عنه ـ بارخاء السيوف وعدم رفعها فقتل منهم فى المعركة وفى الطلب قرابة مائة ألف.[١]

قلت : ولقد كان هذا الفتح العظيم رفعا لمعنوية المسلمين وعلى نقيض ذلك دب الرعب والخوف فى قلوب اعداء الله فتوالت هزائمهم ونكباتهم كما سنرى الآن ان شاء الله .

كان هذا الاعتداء الذى حصل من الروم على المسلمين ولكنهم باءوا بالهزيمة النكراء كان ذلك سببا فى فتح المجال للحرب معهم ، فعزم الصديق على غزو الشام وتحريرها من قهرهم وظلمهم ، ثم قام خطيبا رضى الله عنه فى جموع المجاهدين لحثهم على الجهاد ويذكرهم بأيام الله ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله وقال : ان لكل امر جوامع فمن بلغها فهى حسبه ، ومن عمل لله كفاه الله عليكم بالجد والقصد فان القصد ابلغ ، الا انه لادين لاحد لا ايمان له ولا أجر لمن لا حسبة له ، ولاعمل لمن لانية له ، والا وان فى كتاب الله من الثواب على الجهاد فى سبيل الله لما ينبغى للمسلم ان يحب ان يخص به ، وهى التجارة التى دل الله عليها ، ونجى بها من الخزى ، والحق بها الكرامة فى الدنيا والآخرة .[٢]

قلت : خطب فيهم تلك الخطبه البليغة الجامعة ، والتى لو شرحها الشارحون لملأوا المجلدات من الكتب ، وهذا هو شأن القائد الموفق الملهم فألهبت تلك الخطبة حماس المسلمين وأصبحوا شعلة متقدة

---

(١) الكامل لابن الاثير ٢/٢٧٤ .

(٢) الطبرى ٣/٣٩٠ .

يستيطأون كل لحظة تحول بينهم وبين لقاء عددهم . فعقد الصديق الالوية للجيوش التى أعدها لتحرير الشام .

فعقد اللواء الاول لخالد بن اسعيد بن العاص ، وولاه أرض تيماء ، يكون فيها ومن معه من المسلمين حتى يأتية امرة .

وعقد اللواء الثانى بقيادة يزيد ابن ابى سفيان ومعه جمهور الناس ومعه سهيل بن عمرو واشباهه من أهل مكة ، وخرج معه ماشيا وجعل له دمشق وعقد اللواء الثالث بقيادة أبا عبيدة بن الجراح وخرج معه ايضا يوصيه وجعل له نيابة حمص .

وعقد اللواء الرابع بقيادة عمرو بن العاص وجعله على فلسطين .[1]

هكذا عقد الصديق الالوية وأمر كل قائد ان يسير بجيشه فى غير طريق الآخر ، وكان له مقاصد من ذلك وهو أنه يريد ارهاب جيوش الروم وارباكهم ويجهلهم لايدرون من اين سيؤتون .

ولما توجهت هذه الجيوش نحو الشام أفزع ذلك الروم وخافوا خوفا شديدا ، وكتبوا الى هرقل[2] يعلمونه بما كان من الأمر ، فعند ذلك سارا لى حمص ، وأمّر هرقل بخروج الجيوش الرومية صحبة الامراء ، لمقابلة كل أمير من المسلمين بجيش كثيف .

فلما رأى المسلمون كثرة الجنود المجندة من جيوش الروم شق ذلك

---

(١) البداية والنهاية جـ ٧ ص ٣ .
(٢) هو ملك الروم آنذاك .

عليهم ، فكتبوا الىّ أبى بكر يعلمونه بما حصل من الأمر العظيم ، لكى يأخذوا بمشورته وليستفيدوا بآرائه .

فكتب اليهم " ان اجتمعوا وكونوا جندا واحدا ، والقوا جنود المشركين ، فأنتم انصار الله والله ينصر من نصره ، وخاذل من كفره ولن يؤتى مثلكم عن قلة ، ولكن من تلقاء الذنوب فاحترسوا منها ، وليصل كل رجل منكم بأصحابه . (١)

قلت : وتلك الكلمات العظيمة التى قالها ابو بكر منذ أكثر من الف واربعمائه سنة وكأنه قالها بالأمس ، كلمات يجب على المسلمين فى كل وقت ان يعوها ويدركوا معانيها ، فهو أخبرهم بأنهم انصار الله والله ناصر أنصاره ، ثم أخبرهم ببيت القصيد والذى هو المهم وهو الابتعاد عن الذنوب فهى سبب النكبات والذل ، واذا رأينا حالنا ونحن المسلمون الان رأينا اننا لن نغلب من قلة ولا من قلة عدة ، ولكن قلة الايمان ورون الذنوب على القلوب هو السبب فى ذل المسلمين وتلك سنة الله فى خلقه .

وكان كتاب ابو بكر لجيوشة المحاربه تثبتا لقلوبهم ، ورفعالمعنوياتهم ثم كتب ابى بكر انى سيف الله " خالد بن الوليد " يأمرة بالتوجه من العراق الى الشام للانضمام الى جيوش المسلمين فى حربهم ضد الروم وقال الصديق " والله لاشغلن النصارى عن وساوس الشيطان بخالد ابن الوليد " وأمرهم الصديق بالاجتماع وان يكونوا جيشا واحدا .

---

(١) البداية والنهاية ٤/٧ .

سار خالد مسرعا فى تسعة ألاف وخمسائة استجابة لطلب الصديق وكان دليل خالد رافع بن عميرة الطائى ، فسلك به اراضى لم يسلكها قبله أحد ، فجاب البرارى والقفاز ، ووصل فى خمسة أيام فخرج على الروم من ناحية تدمر ، فصالح أهل تدمر وأركة ، ثم وصل سيرة حتى وصل الى قناه بصرى فوجد الصحابة تحاربها فصالحه صاحبها وسلمها اليه فكانت أول مدينة فتحت فى الشام والحمد لله[١]

فاستمر خالد فى مسيره ومعه المسلمين الذين التقى بهم يريد عمر بن العاص حيث التقى بالروم فكانت وقفه اجنادين ، وشهدها من الروم جيوشا عظيمة فقاتلهم المسلمون قتالا شديدا ، وأبلى فيها خالد ابن الوليد يومئذ بلاء حسنا ثم ان الله هزم اعداءه ومزقهم كل ممزق واستشهد كثير من الصحابه فى هذه المعركة[٢] ثم كانت المعركة الفاصلة مع الروم وهى موقعة اليرموك :

تلك الموقعة التى انتصر فيها المسلمون انتصارا سطرة لهم التاريخ جمع خالد جيوش المسلمين بعد ان كانت متفرقة ، ولم يخبر أمراء الجيوش بأن الصديق قد ولاه امارة الالويه كلها فخطب الناس وقال بعد ان حمد الله واثنى عليه : ان هذا يوم من ايام الله ، لاينبغى فيه الفخر ولا البغى ، أخلصوا جهادكم واريدوا الله بعملكم وان هذا يوم له مابعده ، لو رددناهم اليوم الى خندقهم فلا نزال

---

(١) البداية والنهاية ٦/٧ .
(٢) فتوح البلدان للامام ابى الحسن البلاذرى ص : ١٢٠ ، ١٢١ .

نردهم ، وان هزمونا لانفلح بعدها ابدا ، فتعالوا فلنتداول الامارة فليتكن بعضنا عليها اليوم ، والآخر غدا ، والآخر بعد غيد ، حتى تتآمروا كلكم ودعونى اليوم اليكم ، فأمروه وهم يظنون ان الأمر يطول جدا ، فخرجت الروم فى تعبئة لم ير مثلها قبلها قط ، وخرج خالد فى تعبئة لم تعبئها العرب قبل ذلك ، فخرج فى ستة وثلاثين كردوسا الى الاربعين كل كردوس ألف رجل عليهم أمير ، وأخذ المسلمون بعضهم بعضا ويقرأون آيات الجهاد ، وكل منهم يحمس صاحبة ، حتى التقى الجمعان ودار القتال طوال النهار حتى العشاء الآخر وانهزم الروم انهزاما ساحقا وقتل منهم فى تلك المعركة قرابة مائة ألف .

قلت : وهذه من الكرامات التى منحها الله للمسلمين الاوائل لأنهم قد تسلحوا بسلاح الايمان والعقيدة حيث يقول قائلهم :

ولست ابالى حين أقتل مسلما

على أى جنب كان فى الله مصرعى

رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه ، فنصرهم وايدهم ثم جاء الخبر فى النهاية إثناء المعركة بوفاة الصديق رضى الله عنه فحزن المسلمون حزنا شديدا ولكن كان عزائهم فى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

* خطبه ومواعظة ـ رضى الله عنه :ـ

اذا تتبعنا خطب أبى بكر الصديق رضى الله عنه وجدناها كلهـا ، تعبر عن الدعوة الى الله بمختلف الأساليب وفى جميع مجالات الدعوة ،ومن خلال خطبه ـ رضى الله عنه ـ يظهر زهده وايثاره للآخرة على الدنيـا ، وتتصـف خطب الصديق ـ رضى الله عنه ـ بسهولة الاسلوب ، ورصانـة المعانى وعمقها ، وتتصف أيضا بالقصر ، ومامن شك فى ان قصر خطبـة الرجل من فقهه ، وقد دل لذلك فى وصيته له لأحد عماله حيث يقـول ولا تكثر القول فان بعضه ينسى بعضا ـ ومع أن خطب الصديق تتميـز بالقصر الا انها مستوفيه فى المعنى ، ولو أراد الباحث شرح خطبة لـه لاستغرق مجلدا ، وهذه بعض نماذج من خطبة لكى نعرف قدر ثروتـه الخطابيـة :ـ

تقدمت خطبته يوم البيعة ، وخطبته يوم الرده ، وخطبته يوم ندب ـ الناس لفتح الشام وهذه خطبه له فى الوعظ " حمد الله واثنى عليه ثـم قال "فانى أوصيكم بتقوى الله وحده ، وأن تثنوا عليه بما هو أهله ، وتخلصوا الرغبة بالرهبة ، والالحاف بالمسئلة فان الله اثنى على زكريا عليه السـلام وأهل بيته فقال " انهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا ".

ثم اعلموا ان الله قد ارتهن بحقه أنفسكم ، وأخذ على ذلك مواثيقكـم واشترى منكم القليل الفانى بالكثير الباقى هذا كتاب الله فيكم لاتفنى عجائبه ولا يطفأ نوره ، فصدقوة وانتصحوة ، واستفيئوا منه ليوم الظلمة ، ثم اعلمـوا انكم تغدون وتروجون فى أجل قد عنيت علمه عنكم ، فاذا استطعتم ان لاينقضى الا وأنتم فى عمل لله فافعلوا ولن تستطيعوا ذلك الا بالله ، فسابقوا فـى

سهـــل ، فان قوما جعلوا آجالهم لغيرهم ونسوا انفسهم ، فأنهاكم أن تكونوا أمثالهم ، والوحا الوحا والنجاء النجاء !! فان من ورائكم طالبا حثيثـــا مرة سريعا .(١)

ومن خطبة له ايضا : حمد الله واثنى عليه ثم قال :ـ

" ان أشقى الناس فى الدنيا والآخرة الملوك ، فرفع الناس رؤسهـــم ، فقال : مالكم أيها الناس : انكم لطعانون عجلون ، ان الملك اذا ملـــك زهده الله فيما فى يده ، ورغبه فيما فى يدى غيره ، وانتقصه شطر أجله ، وأشرب قلبه الاشفاق ، فهو يحسد على القليل ويتسخط الكثير ، ويسأم الرخاء وتنقطع عنه لذه البقاء ، لا يستعمل العبره ، ولا يسكن الى الثقة ، فهو كالدرهم القسى(٢) والسراب الخادع ، جذل الظاهر ، حزين الباطن ، فاذا وجبـــت نفسة ونضب عمره وضحا ظله حاسبه الله فأشد حسابه وأقل عفوه ، الا أن الفقراء هم المرحومون ، وخير الملوك من آمن بالله ، وحكم بكتاب الله وسنة نبيـــه صلى الله عليه وسلم وانكم اليوم على خلافة نبوة ، ومفرق محجة و ستـــرون بعدى ملكا عضوضا(٣) ، وامة شعاعا(٤) ، ودما مفاحا(٥) ، فان كانت للباطل نـزوة ولأهل الحق جوله ، يعفولها الأثر ، وتموت السنن ، فالزموا المساجـــد ، واستشيروا القرآن ، والزموا الجماعه ، وليكن الابرام بعد التشاور ، أى بلادكم خرسة فان الله سيفتح عليكم أقصاها كما فتح أدناها .(٦)

---

(١) عيون الاخبار لابن فقيه ٢ / ٢٣٢ .
(٢) القسى : المزيف .
(٣) يعنى فيه استبداد وتعسف .
(٤) يعنى متفرقـــه .
(٥) يعنى مراق .
(٦) عيون الاخبار ٢ / ٢٣٣ .

قلت : وهذه الخطبه العظيمة التى بين فيها الصديق أحوال الملوك وخصوصا من لم يلتزم منهم شرع الله ومنهجه وبلاشك ان كلامه صوابـــا ، فالملك تجده مهموما دائما ويفكر كل أوقاته مشغول بأمور شعبه ودولتـــه ، وحقا ماقاله حينما قال " جذل الظاهر ــ حزين الباطن " فهو يظهرالسرور والاغتباط ولكن من داخله هما لاتحمله الجبال ، ثم عقب بقوله وخيرالملوك من آمن بالله وحكم بكتاب الله فهذا له السعادة والفوز والرضوان فـــى الآخرة ، وسبحان مسير الأمور !!

وكأن الصديق يرى بأم عينيه ماذا سيحصل للمسلمين بعده من الملـك العضوض ، والأمة الشعاع ، وذلك كناية عن التفرق الشديد ، والدم المفاح الذى يراق بين الحين والأخـر .

ومن خطبة له ايضا بعد ان حمد الله واثنى عليه ، قال : "أوصيكم بالله لفقركم وفاقتكم ان تتقوه وان تثنوا عليه بما هو أهله ، وان تستغفروه انه غفارا ، واعلموا انكم ماأخلصتم لله عز وجل فريكم أطعتم ، وحقكم حفظتم ، فاعطوا ضرائبكم فى أيام سلفكم واجعلوها نوافل بين أيديكم تستوفوا سلفكـــم حين فقركم وحاجتكم ، ثم تفكروا عباد الله فمن كان قبلكم اين كانوا أمـــس ، وأين هم اليوم ، أين الملوك الذين كانوا آثاروا الارض وعمروها ،قد نســوا ونسى ذكرهم فهم اليوم كلاشىء ، فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ، وهم فـــى ظلمات القبور هل تحس منهم من أحدا وتسمع لهم ركزا .

واين من تعرفون من أصحابكم وأخوانكم ؟ قد وردوا على ماقدمـــوا ، فحلوا الشقوة والسعادة ، ان الله تعالى ليس بينه وبين أحد من خلقه نسب

يعطيه به خيرا ، ولا يصرف عنه سوءا الا بطاعته واتباع أمره ، وانه لا خير بخير بعده النار ولا شر بشر بعده الجنة أقول قولى هذا واستغفر الله.(١)

وكان رضى الله عليه يعظ عماله ويوصيهم .

فمن ذلك وصيته وموعظته لعمر — رضى الله عنه — حينما استخلفه : قال : انى مستخلفك من بعدى ، وموصيك بتقوى الله ، ان لله عملا بالليل لا يقبله بالنهار وعملا بالنهار لا يقبله بالليل ،وأنه لا يقبل نافله حتى تؤدى الفريضة وانما ثقلت من ثقلت موازينه يوم القيامه باتباعهم الحق فى الدنيا ، وثقله عليهم ، وحق لميزان لا يوضع فيه الا الحق ان يكون ثقيلا وانما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل وخفته عليهم فى الدنيا ، وحقّا لميزان لا يوضع فيه الا الباطل ان يكون خفيفا ، ان الله ذكر أهل الجنه فذكرهم بأحسن اعمالهم ، والتجاوز عن سيئاتهم فاذا ذكرتهم قلت انى اخاف ان لا أكون من هؤلاء ، وذكر أهل النار فذكرهم بأسوأ أعمالهم ولم يذكر حسناتهم ، فاذا ذكرتهم قلت : انى أخاف ان لا أكون من هؤلاء وذكر آية الرحمة مع آية العذاب ليكون العبد راهبا ولا يتمنى على الله الا الحق ولا يلقى بيده الى التهلكه ، فان حفظت وصيتى فلا يكونن غائب أحب اليك من الموت وهو آتيك وان ضيعت وصيتى فلا يكونن غائب ابغض اليك من الموت ولست بمعجز الله .(٢)

قلت : وهذه الموعظة العظيمة التى تنفر الاذن نقرأ بعبارتها القوية والتى اذا سمعها الانسان اقشعر جلده ، ولان قلبه ، وذرفت عينه ، انها

---

(١) الحلية ١/ ٣٥ ، ٣٦ .
(٢) البيان والتين ٢/ ٤٥ ، — حليه الاولياء ١/ ٣٦، ٣٧ .

لموعظة خرجت من قلب داعية تقى ورع فحق لها ان تلج الى قلوب من سمعها فى القديم والحاضر . وهذا شأن الدعاة المخلصون الى الله والذين قد صلحت نياتهم فأصلح الله أقوالهم وأفعالهم .

وكان — رضى الله عنه — يكتب الى عماله على الامصار ، اذا سألوه أو أخبروه عن شىء فاذا كان فعلهم خطئا أرشدهم الى الصواب ، وأن كانوا على حق أمرهم بالثبات عليه .

وكان يكتب لابى بكر عثمان بن عفان ، وزيد بن ثابت ، وروى ابن عبدالله ابن الأرقم كتب له وكذلك حنظلة بن الربيع كتب له أيضا .(١)

واليك نموذجا من كتبه :—

كتابة الى أهل اليمن يحثهم فيه على الجهاد :—

من خليفة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — الى من قرىء عليه كتابى هذا من المؤمنين والمسلمين من أهل اليمن ، سلام عليكم ، فانى أحمد الله اليكم الذى لااله الا هو ،أما بعد :

فان الله تعالى كتب على المؤمنين الجهاد ، وأمرهم ان ينفروا خفافا وثقالا . ويجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله ، والجهاد فريضة مفروضة والثواب عند الله عظيم وقد استنفرنا المسلمين الى جهاد الروم بالشام ، وقد سارعوا الى ذلك ، وقد حسنت فى ذلك نيتهم ، وعظمت حسبتهم ، فسارعوا عبادا لله الى ماسارعوا اليه ، ولتحسن نيتكم فيه فانكم الى احدى الحسنيين اما الشهادة واما الفتح والغنيمة ، فان الله تبارك وتعالى لم يرض من عبادة بالقول دون العمل ولا يزال الجهاد لأهل

(١) كتاب الوزراء والكتاب للجهشيارى .

عداوته حتى يدينوا بدين الحق ، ويفروا لحكم الكتاب ، حفظ الله لكم دينكم وهدى قلوبكم وزكى أعمالكم ، ورزقكم أجر المجاهدين الصابرين .[١]

قلت : ولقد كان لهذا الكتاب أعظم الأثر فى نفوس أهل اليمن فلقد نفر كثيرا للجهاد فى سبيل الله وانضموا الى جيوش المسلمين .

وقد كتب الى ابى عبيدة كتابا ردا على كتاب بعث به أبو عبيدة اليه يخبره فيه بتجمع جيوش الروم وحشدهم القوات والمداد ، فرد عليه ـ أبوبكر ـ رضى الله عنه بهذا الكتاب :ـ

أما بعد : فقد جاءنى كتابك تذكر فيه تيسر عدوكم لمواقعتكم وماكتب به اليهم ملكهم من عدته اياهم أن يمدهم من الجنود بما تضيق به الأرض الفضاء ، ولعمر الله لقد أصبحت الأرض ضيقة عليه برحبها ، وأيم الله ما أنا بيائس ان تزيلوه من مكانه الذى هو به عاجلا ،انشاء الله ، فبث خيلك فى القرى والسواد ، وضيق عليهم بقطع الميرة ، ولا تحاصر المدائن حتى يأتيك أمرى فان ناهدوك فانهض اليهم واستعن بالله عليهم فانه ليس يأتيهم مددا الا مددناكم بمثله أو ضعفه وليس بكم بحمد الله قلة ولا ذله ، ولاأعرفن ماجبنتم عنهم ، فان الله فاتح لكم ومظهركم على عدوكم ، ومعزكم بالنصر وملتمس منكم الشكر لينظر كيف تعملون وجاءك عمرو[٢] فأوصيك به خيرا فقد أوصيته ان لايضيع لك حقا والسلام عليك .

قلت : وكان هذا الكتاب من خليفه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى جيوشة كان رقية نافعة فى كون نفوسهم هدأت ومعنوياتهم

---

(١) تاريخ عساكر ١/ ٤٤٥ .
(٢) يقصد عمرو بن العاص .

ارتفعت ، وبكتابه البليغ هذا كأنه بين صفوفهم يسير أمورهم ويخطط لهم في حربهم . كلمات تبعث القوة والحيوية والنشاط ، وبشارة مقدمة وتفاءل تحقق بان الله سيفتح عليهم ، بعد أن أخبره وكأنه يرى حال الروم — أن نفوسهم ضعيفه ، ومعنوياتهم متحطمة ، وفعلا !! فلقد كبلوا جنودهم بالسلاسل خوفا من أن يهربوا من ساحة القتال فكانت تلك السلاسل نقمة عليهم ، فلم يستطيعوا كرا ولا فرا ، ثم أرشده الى عمل يجعل قوتهم تضعف ونفوسهم تهتز وهو قطع المئونه والامدادات عنهم فكان كتاب أبو بكر رضى الله عنه هذا كتابا موفقا وجد مكانه في نفوس المسلمين فاستقر فيها .

((بسم الله الرحمن الرحيم))

الخـــاتمـــة

وهكذا نودع الصديق في هذا البحث المتواضع ، ومهما قلنا وكتبنا فلن نوفيّ الصديق حقه ولا نملك الاّ ندعو له ونترضى عنه سائلين الله جلّ وعلا أن يجعلنا نهتدى بهديه وهدى اخوانه صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد توصلت من خلال بحثي السابق الى النتائج الآتية :-

١ - أن الصديق -رضي الله عنه- منذ ان بدأ فجر الاسلام وهو يحشد قواه الفكرية ، وقواه الجسمية وقواه الاقتصادية في سبيل اعزاز دين الله واعلاء كلمته .

٢ - لقد عرفنا ما كان عليه العرب من الديانة والخلق والجاهلية الجهلاء ثم لاحظنا كيف أنّ الصديق كان يتمتع بحصانة امده الله بها وحصنّه من تلك المؤثرات فلم يسجد لصنم قط ، ولم يشرب خمرا قط ، وكان على جانب قوى من الاخلاق السامية وما من شك ان الداعية يجب تحصينه من المؤثرات الخارجية لأن هذا مما يجعله يبصر غايته ، فاذا كان ايمانه راسخا ، وعقيدته ثابته مثل صاحبنا -أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - فسوف يكون مشحونا بالايمان القوى الذى يجعله يستسهل الصعب في طريق دعوته ، فلا يبالي بما يحصل له من أذى ولا مايتعرضه من مشقة ، ولا ما ينفقه من مال كثر أم قلّ .

فهذا الصديق -رضي الله عنه- واصحابه الكرام لما تعمق الايمان في قلوبهم فعل بهم الافاعيل ، فاستسهلوا الصعب في سبيل نصر هذا الدين فجابوا القفار ، وركبوا البحار حتى علت أعلام الاسلام خفاقة ، وحتى صار صدى دعوتهم مدويا في جميع أرجاء المعمورة .

ومن النتائج :-

٣ - أن الصفات التي تمتع بها الصديق - رضي الله عنه - كانت دعوة صامتة في حد ذاتها ، دعوة حسية كان لها انعكاسات بعيدة ، فلقد كان من خلقه التواضع والقدوة الحسنة في كل الأمور وهذا ما يجب أن يكون عليه الداعية لكي يتقرب به الى نفوس المدعوين فيفتحون له صدورهم ويصغون له آذانهم ثم يتمكن قوله في قلوبهم .

ومن النتائج :-

٤ - أن الصدّيق - رضي الله عنه - كان صادقا في كل أقواله وأفعاله فاذا قال فعل وهذا مايجب أن يكون عليه الداعية المؤمن المخلص .

ومن النتائج أيضا :-

٥ - أن الصديق صبر على الأذى وتكبّد الأخطار في سبيل انجاح دعوته وهذا ما يجب أن يكون عليه الداعية كما قال الشاعر :

لا ستسهلن الصعب أو ادرك المنى ∴ فما انقادت الآمال الا لصابر !!

ومن النتائج أيضا :-

٦ - أن الصدّيق -رضي الله عنه - كان على جانب عظيم من العلم والفهم في دين الله وهذا الأمر ضرورى للداعية لكي يعلم حقيقة ما يدعو اليه ، ولكي يكون عالما بحد المعروف والمنكر حتى لا يأمر الا بالمعروف

ولا ينهى الا عن منكـــر .

ومن النتائج أيضا :-

٧ - أن الصدّيق -رضي الله عنه- كان يتحلى بالحلم والعفو وهـــذا ما يجب أن يكون عليه المؤمن ولكن هذا الأمر في حق الداعية أهـــمّ من غيره من سائر الناس فلا بد أن يكون حليما لكي يستطيـــع أن يأخذ بقلوب الناس ولابد أن يتحلى بالعفو والذى هو من أعظـــم الأخـلاق .

ومن النتـائج أيضـا :-

٨ - ان الصدّيق -رضي الله عنه- كانت عنده القدرة على التأثير على الآخرين فها هو ينصب مسجده امام داره ويصلي صلاتا علنية ، ويقرأ القـــرآن قرآه جهرية فتأثر به خلق كثير فأسلموا على يديه حتى أنّ قريشـــا غاظها ذلك وأرادت منعه فكفاه الله أذاهم ، فهذا درس يجـــب أن نستفيده نحن معشر الدعاة من سيرة الصديق .

ومن النتائج أيضا :-

٩ - أنّ الصدّيق -رضي الله عنه- قدر على الايغال في دعوته في أوســـاط مجتمعة حتى تأثر به أصدقائه وجلسائه فظهرت آثار ذلك حيث أنهم تأثروا به فأسلموا وجندوا نفوسهم للدعوة قولا وفعلا . وهـذا درس آخر يجب أن يستفاد من سيرة هذا الرجل العظيم .

ومن النتائج أيضا :-

١٠- أنّ الصديق كان غيورا على الحق فكان يغار على المشركين اذا أرادوا نيل صاحب الدعوة -رسول الله- صلى الله عليه وسلم -بأذى ، ثم هاهـــو

يقف المواقف العظيمة لا يحيد عنها مهما صارت النتائج ، فلنرى عزمه على حرب المرتدين ، وعزمه على نشر الاسلام واعلاء كلمة الله في جميع الاصقاع .

١١- ومن النتائج أيضا لبحثنا أبي بكر ودعوته أن نرى كيف تلقى الأحداث بصدر رحب فعمل الترتيبات اللازمة ، وبحث عن العلاج الناجح لعلاج تلك المشكلات التي ألمّت بالمسلمين وتكالبت عليهم ، حيث أنهم فقدوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم ما لبثوا أن ارتدت العرب حول المدينة وجيش اسامه قد عقد لواءة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأمر بتسييره ، ولكنّ داعيتنا يتلقى كل ذلك بكل شجاعة وبسالة وبكل ايمان عميق ، وبكل ثقة بأن الله سيفرج الكرب وسوف ينصر دعوته ويعزّ دينه ، وهذا يفيدنا في أن الداعية يجب عليه ان يتلقى كل ما يعارضه من مشكلات بصدر رحب ، وان يفكر التفكير السليم ويوجد الحلول المناسبة .

١٢- ومن النتائج المهمة أيضا من بحثنا للصدّيق ودعوته ان نرى كيف انه لم يستعجل في الأمور فلم يكلّ ولم يملّ وانما واصل دعوته صابرا محتسبا ، وهذا ما يجب على الداعية فلا يقول مثلا لم أستطع ان أعمل شيئا ، فلا بدّ من الصبر ، ومن الحّ وكرر طرق الباب فتح له ، ومن صار على الدرب وصل الى غايته التي ينشدها ، وها نحن نرى الصدّيق منذ أن اسلم وهو يدعو الى الله فها هو يقول : " يا أيها الناس انكم تقرأون هذه الآية : ((يا أيها الذين آمنوا لا يضركم من ضلّ اذا اهتديتم)) وان سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول

ان الناس اذ رأو الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك ان يعمهم الله بعقاب من عنده (١) .

ومن النتائج أيضا :-

١٣- انّ الصديق -رضي الله عنه- كان على جانب قوى من الورع والتقوى والزهد في الدنيا ، وهذا شأن الداعية المخلص فلنا فيه القدوة الحسنة رضي الله عنه .

١٤- ومن النتائج أيضا :-

انّ الصديق - رضي الله عنه - كان شجاعا في الحق تلك الشجاعة التى جعلها الاسلام تسير في طريقها الصحيح .

وماأكثر النتائج والدروس المستفادة من سيرة الصديق -رضي الله عنه - وها نحن نودّع الصديق الذى عرفنا طرفا من سيرته العطرة ، ومواقفه المباركة نودّع أفضل خلق الله بعد النبيين والمرسلين ، نودع من شهد له رسول الهدى -صلى الله عليه وسلم- بالخير والصحبة والجنّة .

نودّع سيرة هذا الرجل الذى لم يألوا جهدا في سبيل اعزاز دين الله حتى لقي الله راضيا مرضيا .

ولن نستطيع ان نلمّ بسيرة ذلك الصرح الشامخ الذى شيده الايمان القوى الذى يدّك الجبال .

ولا يسعنى في نهاية هذا البحث الا أن أقول : حقا انّها دروس يجب ان يستفاد منها ، ان دراسة سيرة سلفنا الصالح لهي خير وسيلة لايجاد دعاة الى الله مخلصين جادين .

---

(١) خرجته في صفحة : ( ) .

أقـول :- حقيقـة أنّـه لاغـنى للمسلمين عن دراسـة هـذه السـير العطـرة للدعاة المخلصـين وللسلف الصـالح العاملين ، وعلى رأسهـم رسـول الله - صلى الله عليه وسلم - وخليفتـه أبو بكر الصـديق وبقيـة الخلفاء .

ان من درس تلك السـير وجد العجب العجاب ، وطـأطأ رأسـه تعجبا مما يرى من التفاني في سبيل الدعوة الى الله عز وجلّ -رضـي الله عنهم وارضاهم وحشرنـا في زمرتهـم وجمعنا بهـم في بحبوحـة جنتـه انـه ولي ذلك والقادر عليه وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين . }}

فهرس المصادر والمراجع

١- القرآن الكريـــم .

٢- الرياض النضرة في مناقب العشرة : لمؤلفه " المحب الطبرى " طبعة دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .

٣- الكامل في التاريخ : لابن الأثير الجزرى ، الناشر : دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان .

٤- الطبقات الكبرى : لابن سعد ، طبعة دار صادر - بيروت .

٥- امتاع الأسماع بما للرسول من الأنباء والأموال والحفدة والمتـــاع ، للامام تقي الدين أحمد بن علي المقريزى ، مطبعة لجنـــة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة .

٦- البداية والنهاية : لابن كثير الدمشقي ، طبعة دار الكتب العلمية بيروت - لبنان .

٧- الاصابة في معرفة الصحابة : للامام ابن حجر العسقلاني : الناشر مكتبة الكليات الأزهريـــة .

٨- أسد الغابة في معرفة الصحابة علي بن محمد الجزرى ، الناشـــر دار الفكر .

٩- الأصنام : لمؤلفه " أبي المنذر هشام بن السائب الكلبي ، الناشـــر الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة .

١٠- أبو بكر الصديق : للشيخ علي الطنطاوى ، الناشر : المكتبة العربية في دمشـــق .

١١- البيان والتبيين : لأبي عثمان بن بحيي الجاحظ ، الناشر : دار الفكـــــر .

١٢- السيرة النبوية لابن كثير الدمشقي ، الناشر : دار المعرفـــــة - بيروت - لبنان .

١٣- السيرة النبوية : لابن هشام ، الناشر : مؤسسة علوم القرآن .

١٤- انباء نجباء الأبناء لابن ظفر ، منشورات دار الآفاق الجديدة .

١٥- النهاية في غريب الحديث والأثر : لابن الأثير الجزرى - داراحياء الكتاب العربي - بيروت - لبنان .

١٦- الفائق في غريب الحديث : للزمخشرى " : الناشر دار المعرفـــة - بيروت .

١٧- المسند : للامام أحمد بن حنبل الشيباني ، الناشر : المكتـــــب الاسلامي .

١٨- الجامع الصحيح ، وهو سنن الترمذى : للامام أبي عيسى محمد بن عيسى بن سوره ، الناشر : دار احياء التراث العربـــــي - بيروت - لبنان .

١٩- الرياض المستطابة : للامام يحيي بن أبي بكر العامرى اليمني - مكتبة المعارف - بيروت .

٢٠- التاريخ الاسلامي - الخلفاء الراشدون : محمود شاكر .

٢١- البرهان في علوم القرآن للامام الزركشي - نشر : رئاسة البحـــوث العلمية والدعوة والارشاد بالمملكة العربية السعودية .

٢٢- الاستيعاب في معرفة الأصحاب : لابن عبدالبر - مطبعة الكليات الأزهرية .

٢٣- الكاشف : للامام الذهبي - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .

٢٤- تاريخ الطبرى : للامام أبي جعفر بن محمد بن جرير الطبرى - طبعة دار سويدان - بيروت - لبنان .

٢٥- تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس : للامام حسين بن محمد ابن الحسن الديار بكرى - طبعة مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع - بيروت .

٢٦- تفسير القرآن العظيم : لابن كثير الدمشقي - الناشر : دار المعرفة بيروت - لبنان .

٢٧- تاريخ الخلفاء للسيوطي : الناشر مطبعة السعادة بمصر .

٢٨- تاريخ الأمم الاسلامية : الشيخ محمد الخضرى بك .

٢٩- تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي : د.حسن ابراهيم حسن : الناشر :

٣٠- تقريب التهذيب : لابن حجر العسقلاني ، الناشر : دار المعرفة بيروت - لبنان .

٣١- تهذيب التهذيب : لابن حجر العسقلاني ، دائرة المعارف النظامية حيدر أباد - الهند .

٣٢- تهذيب الكمال : لمؤلفة " جمال الدين المزى " - مخطوط ، نسخة مصورة عن النسخه الخطية المحفوظة بدار الكتب المصرية .

٣٤- حياة الصحابة : للعلامة الشيخ محمد يوسف الكاندهلوى ، الناشر دار القلم - دمشق .

٣٥- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء : لابن نعيم الأصبهاني - دارالكتاب العربي - بيروت - لبنان .

٣٦- زاد المسير في علم التفسير : لابن الجوزى .

٣٧- زاد المعاد : لابن القيم الجوزية ، الناشر دار الكتاب العربي .

٣٨- شذرات الذهب : لابن عماد الحنبلي ، الناشر : احياء التراث العربي - بيروت - لبنان .

٣٩- صحيح البخارى : للامام أبي عبدالله محمد بن اسماعيل البخارى ، تحقيق مصطفى ديب البغا - دار القلم - دمشق وبيروت .

٤٠- صحيح الامام مسلم : للامام أبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيرى تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي - دار احياء التراث العربي .

٤١- صفة الصفوة : للا مام أبي الفرج بن الجوزى ، دار المعرفة - بيروت لبنان .

٤٢- عيون الأخيار : لابن قتيبة الدينورى ، الناشر : دار الكتاب العربي .

٤٣- فجر الاسلام : أحمد أمين ، الناشر دار الكتاب العربي - لبنان .

٤٤- فتح البارى : لابن حجر العسقلاني ، ط جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية .

٤٥- فتح القدير الجامع بين فن الرواية والدراية من علم التفسير :
لمحمد بن علي الشوكاني ، الناشر دار المعرفة - بيروت
لبنان .

٤٦- في ظلال القرآن : سيد قطب ، الناشر دار الشروق .

٤٧- فتوح البلدان : للامام أبي الحسن البلاذرى ، الناشر المكتبة
التجارية الكبرى بمصر .

٤٨- كتاب الزهد للامام أحمد بن حنبل - طبعة أم القرى .

٤٩- سنن أبي داود ، الناشر دار احياء علوم السنة .

٥٠- كتاب الوزراء والكتاب للجهشيارى .

[illegible]

** **

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
* المقدمة	١
الفصل الأول	
أحوال عصره	٦
* الحالة السياسية	٦
* الحالة الاقتصادية	١٠
* الحالة الاجتماعية	١٣
الفصل الثاني	
حياته وشخصيته	٢٥
* نسبه ونشأته	٢٥
* صفاته الخلقية والخلقية	٢٧
* صداقته للرسول قبل المبعث	٢٩
* اسلامه	٣٠
* اضطهاد المشركين له حينما أسلم وعزمه على الهجرة الى الحبشة	٣٣
* صحبته للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد المبعث	٣٤
* علمه وفهمه	٣٦
* حلمه	٤٣
* شجاعته	٤٤

الموضـــوع	رقم الصفحة
* مرافقته للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ في هجرته	٤٨
* الآيات والأحاديث التي وردت في فضله	٥٨
* اختصاصاتـــه	٦٠
* وفاتـــــه	٦٤
الفصل الثالث	
دوره في الدعـــوة	٦٦
* من أسلم على يديه	٦٦
* تفانيـه في الدعـوة	٨٣
* بذله في سبيل الله	٨٦
* عتقه للأرقاء المسلمين	٨٧
* ورعـه وتقـــــواه	٩١
* زهـــــــده	٩٥
* تواضعـــه	١٠٠
* جهاده في سبيل الله	١٠٢
* مواقفـه في الحـق	١٠٧
* خلافتـــه	١١٤
* منهجه في الخلافـــة	١٢٢
* أعماله في سبيل الدعوة	١٢٧
* فتوحاتـــــه	١٥٥

الموضـــــوع	رقم الصفحة
* خطبـــه ومواعظـــه	١٦٣
* الخاتمـــــــة	١٧٠
* المصادر والمراجـــع	١٧٦
* فهرس الموضوعـــــات	١٨١